وزارة التـعليم العالي والبحـث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ العام

مقياس:

تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

محاضرات من مقرر السنة الثالثة تاريخ عام نظام L M D

إعداد وتقديم:

د. عبد الكامل عطية

السنة الجامعية:1441/1440هـ الموافق لـ 2019/ 2020 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي-
Université Echahid Hamma Lakhdar-El-Oued
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Faculté des Sciences Sociales et Humaines
قسم العلوم الإنسانية
Département des Sciences Humaines

الرقم:.02./ل.ع.ق.ع.إ/2021

مقرر اعتماد مطبوعة بيداغوجية

- بناء على محضر اجتماع اللجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية المؤرخ في 08 نوفمبر 2020، والذي تم فيه تقديم مطبوعة بيداغوجية **للدكتور عبد الكامل عطية** والموسومة ب: " **تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء** " والمعدة لطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص تاريخ عام، وقد تم تعيين خبيرين للتحكيم وهما:

1- د/ أحمد بن خيرة

2- د/ الطاهر سبقاق

- وبناء على تقريري الخبرة الإيجابيين المقدمين من طرف الخبيرين السالفي الذكر بتاريخ 2020/12/27 و 2020 /11/12.

- وبناء على محضر اجتماع اللجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية المؤرخ في2021/02/02 الذي تم فيه دراسة تقريري الخبرة المقدمين.

فإن رئيس اللجنة العلمية وكافة أعضائها قد وافقوا على اعتمادها كمطبوعة دراسية لطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص تاريخ عام.

الوادي في 2021/02/03

رئيس اللجنة العلمية

رئيس اللجنة العلمية
قسم العلوم الإنسانية
د. البشير غانية

وزارة التـعليم العـالي والبحـث العلمي

جامعـة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسـانية

قسـم العلوم الإنسـانية

شـعبة: التاريخ العام

مقياس:

تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

محاضرات من مقرر السنة الثالثة تاريخ عام نظامL M D

إعداد وتقديم:

د. عبد الكامل عطية

السنة الجامعية:1441/1440هـ الموافق لـ 2019/ 2020 م

وزارة التـعليم العـالي والبحـث العلمي

جامعـة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسـانية

قسم العلوم الإنسانية **شعبة: التاريخ العام**

مقياس:

تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

محاضرات من مقرر السنة الثالثة تاريخ عام نظامL M D

إعداد وتقديم:

د. عبد الكامل عطية

السنة الجامعية:1441/1440هـ الموافق لـ 2019/ 2020 م

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

[الأحزاب: 21]

مقــدمة

تعد منطقة افريقيا جنوب الصحراء من المناطق الفريدة في العالم من حيث التنوع والثراء الطبيعي والبشري مما جعلها هدفا للغزاة مع بدايات القرن الخامس عشر الميلادي إذ تهاطلت عليها في البداية الدفعات تلوى الأخرى من المستكشفين الأوربيين– المستعمرين الأوائل– في إطار الفضول العلمي،وهي في الحقيقة بداية التمهيد لسطو الإستعماري الذي ستشهده المنطقة في مابعد، الى غاية تفكيكها وإحتلال أقطارها.

إن جل ماكتب عن هذه المنطقة وغيرها من أجزاء القارة لم يكن موضوعيا،حيث عمد دعاة الحركة الإستعمارية الى تشويه ومسخ الشخصية الإفريقية،ووصفها بأبشع النعوت والأوصاف التي لا تليق ببنى البشر،كما قامو بالسطو على ذخائر المنطقة من مخطوطات وكنوز تتصدر اليوم المتاحف العالمية، ناهيك عن الحركة الواسعة التي شهدت استغلال البشر التي عرفت بتجارة العبيد التي كانت آثارها وخيمة على مجتمعات القارة الى غاية اليوم.

يعتبر القرن التاسع عشر مجالا خصبا للدراسات التاريخية المتعلقة بإفريقيا جنوب الصحراء ،ففيه ظهرت فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتطورت تطورا كبيرا،ولم تعد هذه الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين وإنما أصبح هدف روادها التصدي للأطماع الأوربية الاستعمارية.كما شهد القرن التاسع عشر تأسيس ممالك إسلامية كبيرة،مثل الفولاني والتكرور قادتها شخصيات إفريقية دافعت عن دينها وأوطانها.

يأتي هذا العمل في سياق المقرر المعتمد من طرف الوزارة الخاص بالسنة الثالثة تاريخ عام لسداسي الخامس والهدف من تدريس هذا المقياس هو إكتساب الطالب معرفة هذه المنطقة من القارة الإفريقية وما كانت تتميز به من مظاهر سياسية جعلها تكون على صلة بالمناطق المحيطة بها خاصة من الشمال والشرق،وذلك عبر الصلات والتجارية والعلمية، والهجرات.

المعرفة المطلوبة التي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم،المامه بالمظاهر الطبيعية التي تتميز بها هذه المنطقة التي تنعكس على نشاط الإنسان فيها بالإضافة الى طبيعة التنوع القبلي.

محاور المادة :

- **المحور الأول:** تحديد الموقع والسكان.
- **المحور الثاني:** ممالك السودان الغربي.
- **المحور الثالث:** ممالك السودان الأوسط.
- **المحور الرابع:** ممالك السودان الشرقي.
- **المحور الخامس:** انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء.

وقد حاولنا في هذا العمل الإلمام قدر الإمكان بحيثيات الموضوع من مختلف جوانبه بالشرح والإيضاح،مع الإحالة الى المصادر والمراجع للاستزادة خاصة في بعض الجزئيات التي لم نعطها حقها من التوضيح والشرح.

المحور الأول :

تحديد الموقع والسكان

- الدراسة الجغرافية والبشرية :

1- الدراسة الجغرافية:

كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تقطن جنوبي الصحراءالكبرى،إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحيانا على كل السود الأفريقيين[1] ،وسموا بلادهم (ببلاد السودان) [2].

وقد أطلق البكري كلمة السودان في القرن الخامس عشر الهجري ،الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من النيل إلى البحر المحيط وذكر بعض ممالكه منها غانا ،وكوكو،وكذالك عادات أهله ،وبعض منتجاته[3].

وذكر القلقشندى أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط،ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم. مما يقابل بلاد اليمن ، ومن الشمال براري تمتد مابين مصر وبرقة وبلاد عرب مغاربة من جنوبي المغرب إلى المحيط " البحر المحيط "[4].

1- الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء،ط1،الدار المصرية اللبنانية،1999 ، ص 17.

2- ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي):المسالك والممالك ،مطبعة بريل،ليدن،1872م ،ص99. وعبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591م) ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ب ت، ص.15

3- أبي عبيد الله البكري : المسالك والممالك ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة،ب.ت،ص ص 172-173.

4- أبو العباس أحمد ،القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5،القاهرة ،المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، 1963م، ص275.

أما ابن خلدون فيقول: « والسودان أصناف شعوب وقبائل ،أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة ،يليهم الزغاوة،ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ،وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية » [1].

كما أطلق بعض مؤرخي العرب على المنطقة اسم بلاد التكرور حتى أصبحت كلمة التكرور مرادفة لكلمة سوداني ،ولذلك ظلت كلمة بلاد التكرور تطلق على السودان الغربي ،أو على الجزء الغربي من الصحراء الكبرى[2].

إن اصطلاح غرب إفريقيا ،والسودان الغربي كلاهما يدل على ما نسميه بمنطقة غرب إفريقيا التي تمتد في القارة من بحيرة تشاد في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب ،وتقع عند خط عرض 17.9 شمال خط الاستواء على وجه التقريب، وهي جزء من السودان الغربي، والأوسط ،ويمتد السودان الغربي حسب هذا المفهوم من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية،ونقطة ارتكازه هي حوض السنغال، وحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط [3].

1- عبد الرحمان بن خلدون :العبر وديوان المبتداء والخبر،ج5، بيروت ،مؤسسة جمال لطباعة والنشر،1979م، ص234.

2- إلهام محمد على ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا،دار المريخ،1988م،ص28.

3- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل : دراسات في تاريخ غرب إفريقيا ،مكتبة الإسكندرية ، مصر،1989م،ص5.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو صعوبة تحديد الحدود الشمالية ،والشرقية لهذه المنطقة بدقة ،نظرا لعدم توفر حواجز طبيعية كعلامات بارزة تحددها بجلاء[1].وبعد استقراء أقوال المؤرخين العرب ، نستطيع أن نصل إلى تحديد قريب من الواقع، وهو أن المنطقة تطل غربا وجنوبا على المحيط الأطلسي ،وتحدها الصحراء الكبرى شمالا ، ومن الشرق تتاخم بحيرة تشاد[2]. تتاخم بحيرة تشاد وباختصار تشمل المنطقة ما يعرف اليوم بحوض السنغال ، ونهر غامبيا ،وفولتا العليا، والنيجر الأوسط[3].

وبعد العرب جاء الأوربيون،فبقى بينهم تداول هذا المصطلح – السودان الغربي– ، ولكن الكلمة استعملت جزئية ، فبينما أطلقها الفرنسيون على ممتلكاتهم في غربي إفريقيا،استعملها الانجليز للدلالة على ما كان يعرف لديهم بالسودان المصري [4].

ومما سبق يتبين لنا أن السودان الغربي يحظى بموقع إستراتيجي ،وذلك بإطلالته على المحيط الأطلسي غربا ، أي إمكانية قيام نشاط تجاري وبحري ، بينه وبين المناطق الشمالية – شمال إفريقيا وأوربا الغربية – ،كما أن أرضه مجاورة للصحراء في قسمها الجنوبي مما جعلها مقصد للقوافل التجارية القادمة من الجهة الشمالية ، وغيرها العابرة للصحراء رغم صعوبة المسالك

1- سليجمان س. ج :السلالات البشرية في غرب إفريقيا ،ترجمة يوسف خليل ،القاهرة ،الدار المصرية للتأليف،1955م،ص49.

2- الهادي المبروك الدالي :المرجع السابق،ص 19.

3- عبد القادر زبادية : المرجع السابق ،ص15.

4- نفسه ، ص16.

ب- التضاريس :

إن من أبرز السمات المميزة لمنطقة السودان الغربي هي البنية الطبيعية بمختلف عناصرها،نظرا لمؤثراتها الواضحة في نشاطها الاقتصادي ،والبشري[1].

يشبه غرب إفريقيا بقية الأقسام الأخرى من حيث أنه يفتقد الوحدة الفيزوغرافية فهو أقرب إلى أن يكون مجموعة من الأقاليم الفيزيوغرافية[2] ،أطرافها متداخلة في حين أن أوساطها متميزة وواضحة[3].

شهدت المنطقة عبر مختلف مراحل الزمن تغيرات مناخية أدت إلى تشكيل هضبة قديمة عملت العوامل الطبيعية على تغيير قشرتها الخارجية ،ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة ، والسهول المنبتة ،وتضاريسها تمتد من تشاد إلى الأطلسي ،وهي تنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام التالية:

---

1 - محمود شاكر : السنغال ،المكتب الإسلامي ، بيروت ،1983م، ص9 .

2 - فيزيوغرافيا:

1- كلمة تستعمل أحيانا إما كمرادف للجغرافية الطبيعية ،أو للظاهرات البنيوية من سطح الأرض.وكثيرا ما يستخدم اللفظ في المراجع الأمريكية بنفس المعنى الذي تدل عليه كلمة "مورفولوجيا" في الكتب الفرنسية والبريطانية.

2- علم دراسة الظاهرات الطبيعية لسطح الأرض من حيث العوامل التي أدت إلي تشكيلها،والعلاقة بين بعضها البعض. ويفرق البعض بين الفيزيوغرافيا والجيمورفولوجيا- فبينما تكون الدراسة في الأولى وصفية غالبا تكون الدراسة في الثانية تحليلية تعليلية.ينظر: يوسف توني:معجم المصطلحات الجغرافية،دار الفكر العربي،ب.ت،د.ب،ص.380

3 - جورج ،هـ ، ت، كمبل: إفريقيا المدارية ،ج1 ،ترجمة مصطفى منير وآخرون ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1967م ، ص 34.

أ- المنطقة الشمالية:

أطرافها تصل إلى الصحراء الكبرى شمالا ،والى وادي النيجر الأوسط جنوبا[1]وتتخللها هضاب وجبال منها سلسلة الجبال عبر طريق سيقو غاو ، وحجار ، وأهير وجبال أورار الشرقية والغربية ، وتنتشر بها الكثبان الرملية والواحات الكبيرة كما توجد الهضاب الصخرية والمسالك الفسيحة الرابطة بين شمال وجنوب المنطقة وسلاسل الجبال المتقطعة وكذلك بعض الوديان والعيون[2]. ولذلك تعتبر هذه المنطقة- المنطقة الشمالية - صحراوية في أغلب مساحتها[3].

ب- المنطقة الوسطى :

حدودها بحيرة تشاد شرقا والفوتاتورو في السنغال غربا ،ترتفع في وسطها هضاب النيجر،[4] وتكون أجزاؤها الشمالية شريطا زراعيا من أخصب الأراضي في السودان الغربي،ومن أكثر المناطق تركزا للسكان والنشاط الزراعي وتربية الماشية والصيد.

وتنتشر السهول مع بعض الهضاب في المنطقة الوسطى من الفوتاتورو. أما في الجنوب منها فنجد الإستبس وانتشار المراعي[5].

---

1 - نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ب ت ،ص2

2 - الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق،ص 19.

3-أحمد محمدعبد القادر: المسلمون في غينيا ، دارالفكر العربي ،القاهرة ،1968م،ص ص11-12.

4- نعيم قداح : المرجع السابق ، ص 2.

Yves, Saint martin : L´empire toucouleur et la France 1846-1893, Dakar- ,Ruvue 5 d'histoire.1967.P29.

ج - المنطقة الجنوبية:

وهي المنطقة المشرفة على خليج غينيا،وتضم الكتل الجبلية التالية : الفوتا جالون، والهضاب الليبيرية، فجبال التوكو[1] فهضاب نيجيريا الشمالية ،وأخيرا الأطراف الغربية من سلسلة الأداموا في الكاميرون،التي تزيد عن2000م [2].

أما سهول السودان الغربي فتبلغ أقصى اتساعها إلى الغرب من هضبة جوس في سهول الهوسا العليا في نيجيريا، وفي القسم الأوسط من النيجر والسنغال، وفي الجنوب هناك السهل الساحلي بلاجوانته وأشرطته الرملية ممتدا من جزيرة شيربرو في سيراليون إلى مصب النيجر ،ويبلغ هذا السهل أقصى ضيق له في ليبيريا وجنوب شرق غانا.أما إلى الشمال فيمتد سهل ساحلي عريض في السنغامبيا ممثلا بذلك النهاية الغربية لمنخفض السنغال والنيجر[3]. وتعتبر أحواض الأنهار في السودان الغربي من أخصب البقاع ،وهي غنية بالمعادن (أحواض غينيا) ،أما السهوب فإنها تسود المناطق الوسطى ويكثر فيها الرعاة[4].

إن ما يميز شواطئ المنطقة هو الارتفاع في الشمال ،وهي صخرية في موريتانيا والسنغال أما الشواطئ الرملية فإنها تبدأ من غينيا البرتغالية ،وتنتهي في نيجيريا وتشكل بعض الخلجان موانئ صالحة لرسوء السفن كما هو الحال في أبيدجان في ساحل العاج،وتبرز الشواطئ الرملية في نيجيريا أكثر ،وخاصة في منطقة الدلتا المحاطة بالجزر الرملية[5].

---

1 - نعيم قداح : المرجع السابق ،ص2 .

2 - نفسه ،ص4.

3 - محمد عبد الغني سعودي : إفريقية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة،2004م،ص.222

4 - نعيم قداح : المرجع السابق، ص5 .

5- محمود شاكر:المرجع السابق ،ص ص 9- 10 .

وترجع كثرة الشواطئ الرملية في المنطقة إلى هبوب الرياح الغربية طوال العام،مما يؤدي إلى ظهور تيار مائي يتجه من الغرب إلى الشرق ،ويحمل هذا التيار كميات كبيرة من الرمال،أدي ترسيبها إلى تكوين مجموعة من الألسنة الرملية تفصل بين البحيرات الساحلية ،وبين المحيط ،وتمثلت نتائجها في إعاقة الشحن والتفريغ المباشر، ورسوء السفن بعيدا ،واستخدام الزوارق، هذا فضلا عن غلق بعض مداخل الأنهار أمام حركة الملاحة، كما حدث لبعض فروع دلتا النيجر[1].

ج- الثروة المائية :

أ - الأمطار:

يعتبر المطر عاملا أساسيا فهو أهم ظاهرة طبيعية في السودان الغربي، ويعتبر السودان الغربي إقليما فريدا في كون نطاقات المطر تسير موازنة للدوائر العرضية ، ويتميز بأنه من نوع المداري الممطر طوال العام ،وان كانت تشوبه صفة الموسمية أحيانا ،ويقل المطر.ويقصر موسمه بالاتجاه شمالا،ويتراوح المطر بين 3 متر في الجنوب و4/1 متر بل أقل من ذلك عند أطراف الصحراء في الشمال،فهو في تمبكتو لا يتعدى23سم ،ويقتصر فصل المطر كما تقل غزارته تبعا لتعامد الشمس الظاهري وما يتبعه من حركة جبهة التقاء الرياح بين المدارين بين الشمال والجنوب ،ويسقط المطر هنا لعدة أسباب : فبعضه يسقط للتصاعد وهو النوع المألوف في الجهات المدارية،وبعضه نشأ من اصطدام الرياح بالجبال التي تواجهها، ولكن الأعاصير المدارية تؤدي أيضا إلى سقوط الأمطار[2].

1- محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص ص222-.223

2 - نفسه، ص 227.

وقد اختلفت الآراء في تفسير هذه الظاهرة،ويعوزها بعضهم إلى موازاة الساحل لاتجاهات الرياح ،إذ من المعروف أن مياه السواحل تتصف بالبرودة في الفترة الممتدة من شهر جويلية إلى شهر سبتمبر، نتيجة للتيار البحري الاستوائي المتراجع،ويجذب بدوره المياه السطحية الدافئة وبالتالي تحل محلها المياه الباردة الآتية من أعماق الأطلسي،هذا بالإضافة إلى انحراف الرياح الجنوبية في هذه المنطقة لتصبح رياحا غربية[1].

وعلى وجه العموم نقول أن الأمطار تكثر في السودان الغربي خاصة في إقليم الجنوب -أجزاء من غينا وسيراليون ودلتا النيجر-[2] الذي يمتاز بأمطار دائمة على مدار السنة، وتزيد كميتها عن4000 ملم سنويا ،أما الإقليم الثاني الذي يقع شمال هذه الدائرة ، فأمطاره صيفية فقط، وتتناقص كمياته كلما اتجهنا نحو الشمال ، وتتراوح مابين 2000ملم إلى 4000 ملم سنويا مابين دائرتي عرض 10درجة الى15 درجة شمال خط الاستواء[3].

غير أن الأمطار تقل كلما اتجهنا نحو الشمال في الداخل، حيث يندمج هذا الإقليم بالنطاق الصحراوي الشبه الجاف ،والجاف الذي تتراوح كمياته مابين 100و500ملم.وتبقى المناطق الساحلية غزيرة الأمطار، وتصل الغزارة إلى درجة تصعب معها رؤية الأشياء ،وتتحول الأرض فجأة إلى بحيرات واسعة متصلة، غير أن الشمس في ساعات الصحو، تجفف تلك المياه بسرعة عجيبة[4] .

---

1 - فتحي محمد أبو عيانة:جغرافية إفريقيا،دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ،1987م،ص.19

2 - دونالد ويدنر:تاريخ إفريقيا،ترجمة،راشد البراوي،مكتبة الوعي العربي،2001م،ص.15

3 - Surret, canal.j:lafrique noire géographie et civilisation,Paris,edition sociales.1961.P84.

4 - نعيم قداح : المرجع السابق، ص10.

ب- **الأنــهار:**

تعتبر كتلة الفوتاجالون مصدرا رئيسيا للمياه في السودان الغربي نظرا لكثرة أمطارها ،ولطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه، وهناك الهضبة الغينية الليبيرية التي تعتبر الجزء الجنوبي من الفوتا جالون، ومن هذه المناطق الجبلية تنبع أكثر أنهار السودان الغربي[1].

ما يلاحظ على التصريف المائي في المنطقة أنه يتجه إلى المحيط الأطلسي،ومع ذلك فمناطق تقسيم المياه قريبة من الأطلسي حيث مرتفعات غينيا والفوتاجالون،وحيث منابع النيجر والسنغال وغامبيا، ويتجه كل من السنغال الأعلى، والنيجر الأعلى نحو الشمال الشرقي ،أو نحو ذلك المنخفض الكبير الذي كانت تحتله بحيرة أروان جنوب غرب تمبكتو مكونة بذلك مركزا للصرف الداخلي، وقد انصرفت هذه البحيرة نتيجة لتدفق المياه منها بسب النحت التراجعي للأنهار، وأسر الأجزاء الدنيا من الأنهار لمياهها ،وظاهرة الأسر من الظواهر الشائعة في منطقة السودان الغربي[2].

لعبت أنهار السودان الغربي دورا هاما في تاريخ المنطقة ،وتشمل هذه الأنهار كل من نهر النيجر والسنغال وغامبيا إلى جانب وجود مجموعة أخرى من الأنهار الثانوية الأخرى كالكزمانس ،ونهر الفولتا والداهومي،وسنعطي لمحة لأهم هذه الأنهار والأدوار التي لعبتها في تاريخ وحضارة المنطقة.

---

1 - قداح، نفسه ص6.

2 - محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 223.

1- **نهر النيجر** :

يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل ،والكونغو،وهو يمتد في غرب إفريقيا على شكل قوس[1]. يبلغ طوله4200كم[2].ينبع من السفوح الشمالية لهضبة الفوتاجالون في أقصى الجنوب الغربي ،وبذلك فإن منابعه ليست بعيدة كثيرا عن المحيط،ويتجه إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي حتى تمبكتو،ثم ينحرف إلى الشرق، وقبل غاو بقليل ينحرف إلى الجنوب ،والجنوب الشرقي حتى حدود نيجيريا ، فيتجه إلى الجنوب ثم إلى الشرق[3].وفي هذا المسار يلتقي النيجر بروافد المنبع العديدة من أهمها:نياتان وميلو اللذان ينبعان من الفوتاجالون ويرفدان النهر الرئيسي في صفته اليمنى،وأخيرا يتصل بأهم روافده قاطبة وهو نهر البنوي ،وتلتحم مياههما متجهة إلي الجنوب لتصب في البحر بدلتا شاسعة عديدة الفروع برسم أقواس كبيرة قبل أن يصلا إلى المصب[4]. يبتدئ النيجر فيضانه في منتصف جوان ويدوم ثمانين يوما ،سواء في الارتفاع أو الانخفاض ، ويغمر عند فيضانه سطح الأرض، بما فيها سهول ووديان ، فتمتلئ به ويتنقل السكان من طرف إلى طرف بواسطة الزوارق[5].

وقد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة بالنيجر اسم "أنهار الزيت" لأن هذه المنطقة اشتهرت بإنتاج أجود أنواع الزيوت[6].ولنهر النيجر عدة أسماء محلية أكثرها شيوعا : "جولييا JOLIBA" وتعني بلغة الماندينغو "النهر العظيم" [7].

1- إلهام محمد علي ذهني :المرجع السابق ،ص.20

2 - نعيم قداح : المرجع السابق، ص7.

3- محمد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة،ط2، دار النهضة العربية،بيروت ، لبنان،1973م،ص131.

4 - نفسه، ص102.

5 - مارمول كربخال:إفريقيا،ج1،تر ،عماد حجي وآخرون،مكتبة المعارف،الرباط ،1983م،ص55.

6 - شوقي الجمل :تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ،القاهرة،1971م،ص ص 92-93.

7 - رياض زاهر: كشف إفريقيا ،دار المعرفة ،1961م،ص168.

تمثل منطقة ثنية النيجر جزءا مهما في إفريقيا الغربية الفرنسية (A.O.F.) فقد تقاسم هذه المنطقة كل من ساحل العاج،وغينيا الفرنسية ،والداهومي،كما يعتبر نهر النيجر شريانا مهما من شرايين الحياة والعمران والمواصلات في السودان الغربي، ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كالسنغال أو نهر شاري مرتفعات كبيرة مما سهل على الفرنسيين التوغل في المنطقة[1].

2- نهر السنغال [2] :

ينبع من هضبة الفوتاجالون في وسط غينيا ، يبلغ طوله 1700كم[3]،ويأتي كسادس الأنهار الإفريقية طولا و خامسها من حيث مساحة حوضه، وقد تكون نهر السنغال وبدأ يتخذ مجرى محددا له في منتصف الزمن الثالث حين انحسر خليج السنغال،وكان لتجمع الكثبان الرملية أثره في انحراف المجرى عن المصب نحو الجنوب،وقد عملت الرياح التجارية المنتظمة إلى جانب التيارات البحرية على بناء كثيب ساحلي ضخم يعرف بإسم La Langue de Barbarie الذي قلل من قيمة المصب الخليجي للنهر ،ومنع من نمو سانت لويس كميناء جيد[4].

القسم الأوسط من السنغال صالح للملاحة ،وهو مصدر الخصب للأراضي التي يمر بها[5]. يصب في المحيط الأطلسي عند سان لويس[6].

---

1 - جمال الدين الداناصوري : جغرافية العالم دراسة إقليمية(إفريقيا واستراليا)، ج2 ،مكتبة الأنجلو مصرية ،1971م،ص318.

2- Gallieni, Josep :Voyage au Soudan français (Haut-Niger et pays de Ségou,1879-1881, Hachette Paris ,1885.P539.

3- نعيم قداح : المرجع السابق، ص6.

4 - محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص225.

5- محمد فاضل وسعيد إبراهيم:المسلمون في غرب إفريقيا،ط1،دار الكتب العلمية، لبنان،2007م، ص22

6- نعيم قداح : المرجع السابق ،ص6.

يمتاز نهر السنغال بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية،وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة تبلغ 350كم من المصب[1]. والسنغال صالح للملاحة بصعوبة إلا في فصل المطر﴿أوت – أكتوبر﴾حيث تصل السفن الصغيرة إلى كايس،أما بقية العام فغالبا ما تتوقف الملاحة فيه،أولا يصلح إلا للقوارب الصغيرة،من ثم تقوم السكك الحديدية بعمليات النقل في السنغال، وكانت أهميته أكبر في الري عندما يفيض فيروي الأرض ويخصب التربة[2].

وقدا أنشأ سد على هذا النهر يبعد عن المصب بمسافة 100كم ينظم دخول مياه الفيضان إلى بحيرة (جوبر) والاستفادة من تلك المياه المخزونة في ري مساحة واسعة تمتد أكثر من 20كم إلى الشمال والتي تزرع بالرز[3].

3-**نهر غامبيا :**

من أفضل أنهار القسم الغربي من السودان الغربي فهو صالح للملاحة في حدود دولة غامبيا،من ثم كان وسيلة النقل الرئيسية لمعظم الإنتاج الاقتصادي لغامبيا،وذلك بفضل الصلاحية للملاحة ،والامتداد الشريطي للبلاد بعرض قدره24 كم وبطول470 كم[4].

تقع القرى بعيدا عن مجرى النهر،وذلك بسب وجود المستنقعات ،والغابات على ضفافه ،ويتكون سطح غامبيا من وادي النهر ،والمناطق المحيطة به وهي سهول خصبة تستغل في زراعة الفول السوداني[5].

---

1 - أحمد نجم الدين فليجة : إفريقيا دراسة عامة وإقليمية ،مركز الإسكندرية للكتاب ،2005م ،ص148.

2 - محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 225.

3 - أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق ، ص 317.

4 - محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 225.

5- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ،ص24.

يعتبر نهر غامبيا من أصلح الأنهار للملاحة ، فهو المدخل الرئيسي للسودان الغربي،وهو يخترق منطقة السفانا أكثر مناطق إفريقيا ارتيادا[1]. وبالإضافة إلى نهر النيجر، والسنغال، وغامبيا، يوجد نهران صالحان للملاحة هما السالوم و الكازمانس[2].أما في منطقة خليج غينيا فقد وجد في ساحل العاج عدة أنهار هي باناما – كفالي – كوميه،وهي جميعا تصب في خليج غينيا[3]، أما نهر الفولتا فيشبه في اتجاهه وخصائصه نهر النيجر[4].

يتبين لنا مما سبق قلة أهمية الأنهار الإفريقية، كشرايين تؤدي للداخل فهذه الأنهار،تنتهي إلى البحر وإما بدالات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود ،أو بمساقط مائية. ولعله مما يستوقف النظر أن كشف منابع الأنهار الإفريقية تم عن طريق بعثات تتبعت مجاري هذه الأنهار،ولكنها في أغلب الأحيان أتبعت الطرق البرية لتتفادى العقبات في مجاري الأنهار[5].

وإذا كانت بعض أنهار السودان الغربي قد عرقلت التوغل للداخل فإننا نلمس أيضا بأن سواحل غرب إفريقيا لم تساعد كثيرا على هذا التوغل،رغم أنها تعتبر بعد الساحل الشمالي من أقرب السواحل إلى أوربا ،وعلى الرغم من وصول الأوربيين إليها منذ أواخر القرن الخامس عشرإلا أنهم تركزوا في نقاط على الساحل الذي قلت فيه المناطق التي تصلح للوثوب للقارة jupping of points ،وأصلح هذه المواثب هي الجزر التي تقع بالقرب من السواحل [6].

---

1 - نفسه،ص24.

2- نفسه.

3 - يسري الجوهري : إفريقيا الإسلامية،دار المعارف،القاهرة،1980م،ص313.

4 - شوقي الجمل : المرجع السابق، ص ص 16-17.

5- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ،ص25.

6 - شوقي الجمل : المرجع السابق، ص ص16–17.

د- المنـاخ :

يؤثر كل من الموقع الفلكي والجغرافي تأثيرا كبيرا على تنوع المناخ في هذا الإقليم من القارة الإفريقية [1] ،وهذا ما نلاحظه من خلال خرائط المناخ ،حيث يمتد هذا الجزء بين خط الاستواء جنوبا ،ومدار السرطان شمالا[2] ، أي ضمن المناخ المداري فلا يوجد فيه جزء ينخفض فيه متوسط الحرارة الشهري عن18 درجة[3]. ويقع الجزء الجنوبي من الإقليم ضمن المنطقة الاستوائية والتي تتميز بمتوسط حراري مرتفع مع نسبة رطوبة معتبرة وأمطار غزيرة طوال العام [4]. ووجود فصل جاف يمتد من ثلاثة شهور إلى أربعة، وينطبق هذا الإقليم بصورة عامة على الأجزاء المنخفضة من ساحل العاج،ليبيريا، وسيراليون،وغينيا، وغينا البرتغالية [5].

أما الجزء الشمالي فيتبع إقليم السفانا[6] ، وحرارته أشد لقلة الأمطار والأشجار وتسقط أمطاره صيفا[7]. وعموما تزداد درجة الحرارة ارتفاعا كلما اتجهنا نحو داخل وشمال الإقليم، وخاصة في فصل الصيف [8] ،وتنخفض في الشتاء باستثناء المناطق المرتفعة التي تؤثر عليها الرياح الشمالية الشرقية التي تتصف بالبرودة النسبية ،والجفاف ،والتي تسمى محليا الهرمتان تؤدي إلى إثارة الزوابع الرملية[9].

---

1 - أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق ، ص 154.

2 - نعيم قداح : المرجع السابق، ص7.

3- محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص 226.

4- محمد محي الدين بذق : إفريقيا وحوض النيل،ط2،مطبعة عطايا،مصر،1934م،ص47.

5- جورج ،هـ ، ت، كمبل:المرجع السابق،ص50.

6- السفانا : الإقليم أو الغطاء النباتي الذي يتألف من الأعشاب المدارية أو دون المدارية بصفة رئيسة.

7- محمد محي الدين بذق: المرجع السابق،ص 47.

8 - نعيم قداح : المرجع السابق ،ص8.

9- عبد القادر مصطفى المحيشي: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها،ط1،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،ليبيا،2000م ،ص160.

هـ - النبات الطبيعي :

لا غرابة في أن تكون خريطة توزيع النبات الطبيعي في المنطقة خريطة معقدة لأن النبات هو أكثر الأشياء حساسية للبيئة الطبيعية،والتوزيع على الطبيعة أكثر تعقيدا منه على الخريطة ففي كل بقعة من الغابات ، أو أراضي الحشائش ، أو الصحراء تستطيع عين عالم نبات أن تكشف فروقا محلية في مجموعات النباتات،وهذه الفروق ذات أهمية كبيرة للسكان لأنهم يستدلون منها على الاختلاف في نوع التربة، وفي موارد المياه الجوفية ،وفي إمكانية وجود مواد غذائية لأنفسهم أو علفا لحيواناتهم [1] يعد النبات الطبيعي نتاج تفاعل بين المناخ والتربة ،فللظروف المناخية وطبيعة التربة الدور الفعال في إظهاره وتوزيعه وخصائصه ،ولذلك كانت المناطق التي تسقط عليها الأمطار طوال العام تكثر فيها الأشجار الطويلة دائمة الخضرة وتتركز بشكل كثيف في الجزء الجنوبي من السودان[2].

وتعيش على أطراف هذه الغابات القبائل الوثنية البدائية،كما أن هذه الغابات تعد مراتع طبيعية للحيوانات كالفيل والثور الوحشي وحصان البحر والزرافات وبعض الأسود وبعض فصائل النمر والغزلان[3]ومع الاتجاه شمالا تقل كمية المطر ويقل معها الغطاء النباتي وتنتشر السافانا الفقيرة وتتداخل مع الأشجار[4].

كما تنتشر في هذا الإقليم حشائش فصلية خشنة ذات قيمة اقتصادية محدودة، حيث لا تصلح لرعي الماشية ،والأغنام [5] وعلى هوامش جنوب الصحراء الكبرى يوجد نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق تسود فيه حشائش الإستبس(حشائش قصيرة)، التي تنمو في فصل المطر[6].

1- جورج ،هـ ، ت، كمبل:المرجع السابق،ص55.

2- عبد القادر مصطفى المحيشي: المرجع السابق،ص161.

3- نعيم قداح : المرجع السابق، ص6.

4- عبد القادر مصطفى المحيشي: المرجع السابق،ص161.

5- نجم الدين فليجة : المرجع السابق ، ص 176.

6- عبد القادر مصطفى المحيشي: المرجع السابق،ص161.

- الدراسة البشرية:

أ- السكان ومناطق توزيعهم:

لاشك أنه من الصعوبة بمكان إعطاء صورة مفصلة لتوزيع قبائل السودان في السودان الغربي،من خلال المصادر القديمة ،وذلك لأن الكتاب المشارقة ،والمغاربة لم يمدونا بمعلومات كافية عن القبائل وتوزيع مواطنها- باستثناء بعضها.مثل التكرور- بل تكلموا عنها بشكل عام،لا يبين أماكن وجودها بالتحديد ،وبعضهم أشار فقط إلى بعض أسمائها . أما الكتاب السودان فقد أوردوا أسماء هذه القبائل دون أن يهتموا بإعطاء معلومات تفصيلية عنها، ووجهوا معظم عنايتهم إلى الكلام عن الأحداث السياسية للبلاد على أيامهم[1].

إن الكثير من المؤلفين عندما يكتبون عن تاريخ الشعوب الإفريقية ،وبصفة خاصة عن تاريخهم قبل الغزو الأوربي نجدهم يهتمون بالدرجة الأولى بأصول الأجناس الإفريقية ،والاختلافات العرقية بينهم، وهذا لا يهمنا في دراستنا هذه فكل ما يهمنا هو الظروف المهيأة للتحولات السياسية ،والاقتصادية التي شهدتها تلك الشعوب، وكيف تفاعلت معها، وماذا نتج عن هذا التفاعل؟.

ترتبط شعوب السودان الغربي برباط يوحدها ،وهو بالأساس اللغة ثم العناصر الحضارية بالدرجة الثانية،ونجد بين القبائل السودانية العديد من القوميات الأخرى التي تختلف في أصولها عن السودانيين [2].

ومن أهم المجموعات البشرية التي استوطنت السودان الغربي ،وكان لها دور حضاري هام نذكر ما يلي :

1- نبيلة حسن محمد:في تاريخ إفريقية الإسلامية،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،2007م،ص.103

2- عطية مخزوم الفيتوري:دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء،منشورات جامعة قار يونس،ط1، ليبيا،1998م،ص21.

1- الطوارق الملثمون :

يقيم الطوارق في منطقة النيجر الأوسط من تمبكتو حتى هضاب الأهير[1] كما يتنقلون في مناطق شاسعة بالصحراء الغربية تمتد حتى منحى النيجر، فهم قبائل رحل ،ولهم نظام قبلي خاص، فهم يعيشون في مجموعات،ولهم قيادات قبلية ، وتقاليد خاصة. ولما اعتنقوا الإسلام لعبوا دورا هاما في نشره في السودان الغربي[2] تعيش هذه القبائل على رعي الإبل ،وتعتمد على آبار الصحراء الكبرى ،وواحاتها خاصة في منطقة الأحجار[3].

وقد اشتهر الطوارق بحروبهم العنيفة ضد الفرنسيين ،وتمسكهم الشديد بالدين الإسلامي[4] يضم الطوارق عددا من القبائل التي تتكلم لغة واحدة تسمى لغة "التفناغ"[5] وتنقسم منطقتهم إلى سبع سلطنات ، وكل سلطنة لعدد من القبائل،و يضع الطوارق كلمة « كل» وتعني « بنو أو أهل للتعريف بفروعهم التي نجد أشهرها: كل اقرس، والليمدن كل أطرام أزقر،الهقار، تقريقريت،آيير ،تمزقدا[6] .

1- نعيم قداح : المرجع السابق، ص ص 13-14.

2- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم :تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة ،1996م،ص101.

3- أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق ،ص 192.

4- Guy,Camille :L'Afrique Occidentale française,Paris.1929,P43.

5- فيج.جي.دي :تاريخ غرب إفريقيا،تر،يوسف نصر ،ط1،دار المعارف،القاهرة، 1982م،ص62.

6- الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق،ص 218.ينظر: H,wolff et A,Blachere: Shara et Soudan,Libraire Algerienn et Coloniale,Paris.1884.P13.

عرفت قبائل الطوارق لدى ممالك السودان الغربي بالقوة، والشجاعة الفائقة،وبعزة النفس ، فتسابق عدد من ملوك السودان الغربي إلى كسب ودهم، وكانوا يمثلون العمق الاقتصادي في تجارة القوافل عبر الصحراء،وكانت أغلب القوافل التجارية المتجهة من غدامس إلى تمبكتو ،وباقي مناطق السودان الغربي يقودها الطوارق[1].

2- الفولاني (الفوله):

تقطن قبائل "الفولا fulla" التي تعرف باسم الفولاني"fullani" ، أو"الفلاتا fellata "،في المنطقة الواقعة في أعالي النيجر ،وحتى السنغال ينتمون إلى الحاميين الشماليين الذين أخذوا ينشرون نفوذهم في السودان الغربي ،وأعالي السنغال أثناء قيام إمبراطورية غانا.

وفي نهاية عام 1810م،دعم الفولانيون نفوذهم في سائر ولايات الهوسا،وفي أواخر القرن التاسع عشر أتسع نفوذهم فشملت الأقاليم الشمالية من نيجيريا[2]. ولقد استقرت طائفة منهم في ماسينا،ثم أخذوا في التسرب شرقا حتى وصلوا إلى منطقة بورنو والكاميرون[3].

ولقد اختلف الباحثون في أصلهم ، فمنهم من يربطهم لغويا[4]. ببلاد الفوته، ومنهم من يرى بأنهم عنصر من البربر استقروا في منطقة أدرار وأعالي السنغال[5]. وهناك نظريات أخرى تقول أن الفولانيين هم نتيجة احتكاك الزنوج ،والحاميين بشعوب بيضاء من زمن طويل، وهذه الشعوب هي العرب والبربر والطوارق،لغتهم تدعى الفولا وكانت تكتب بأحرف

1- نفسه،ص 228.

2- فيج،جي،دي : المرجع السابق ،ص30.

3- .Deschamp,Hubert: peuples et nations d'outre mer,Parispresse universitair.1954.P150.

4- لغة الفولاني بلهجاتها المختلفة وهي :فلاني وفلفلدي وباغرمي، وبورورو ،وفوتا فولار ،وماتسينا،وهي تتحدث في المنطقة التي تمتد من السودان حتى السنغال.ينظر: يوسف فضل حسن:العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم،تونس ،1985م،ص ص168-169

5 - إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ،ص27.

عربية قبل مجئ الاستعمار ،لكن معظمهم يتكلم لغة البلاد التي يسكنون فيها والغالبية العظمى منهم الآن رعاة ماشية[1].وينقسم الفولانيون إلى نوعين من حيث النشاط الحيوي،فمنهم الرعاة المتنقلون بماشيتهم، ومنهم المستقرون على شكل مزارعين وسط شعوب غريبة عنهم،بحيث يمثلون الطبقة الحاكمة ذات النفوذ والجاه وبخاصة في شمال نيجيريا وفي أعالي السنغال[2].

ويختلف وضع الفولانيين في المناطق التي يتمركزوا فيها،ففي البلاد التي قدموها منذ مائة سنة نجد أنهم هم السادة المسيطرون عليها،أما في المناطق التي استقروا فيها منذ زمن طويل فإنهم كانوا يخضعون لنفوذهم الحكام المحليون كما هي الحال في غينيا الداخلية ،وقد تتسع رقعة تمركزهم أحيانا مثلما في مالي ،وشمال نيجيريا،وقد تضيق أحيانا أخرى لتصبح رقعا بشرية محاطة بشعوب أخرى مثلما في غينيا والكامرون والنيجر[3].وبين عامي 1776و1786م أستطاع"الفولن" أن يؤسسوا ثلاث دويلات دينية، وهي فوتاتورو ،وفوتاجالون،وخاسبو ،وتتسم هذه الدويلات بشدة التمسك الصارم بتعاليم الدين الإسلامي[4].

ويشكل الفولاني أكبر تجمع مسلم في السودان الغربي ،وقد عرفوا طوال التاريخ بأنهم الشعب الدعاة للإسلام فقد حملوا الإسلام من موطنهم في مرتفعات "فوتاجالون" و"فوتا تورو" على سواحل المحيط الأطلسي واتجهوا به شرقا حتى بحيرة تشاد[5].

1- محمد فاضل وسعيد إبراهيم : المرجع السابق، ص ص24-25

2- Yves, Saint martin : op.cit,P29.

3- نعيم قداح:حضارة الإسلام وحضارة أوربا في غرب إفريقيا،ط2،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.1975م،ص21.ينظر: Jean-Suret-canale:Essais d'histoire africaine,editions Sociales.PP 45- 46.

4- كولين مكفيدى: أطلس التاريخ الإفريقي،ترجمة مختار السويفي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987م،ص151.

5-أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث،ط1،دار المريخ ،الرياض،1981م، ص ص 201-202.

وقد أستطاع الشيخ عثمان دان فوديو أن يجمعهم وينشر الإسلام الصحيح بينهم وأن يكون إمبراطورية إسلامية شاسعة حكمها حتى قضى عليها الفرنسيون[1].

3- **الماندنيج :**

ينتشرون في السنغال ،والنيجر الأعلى، وجمهورية غينيا ،والأقسام الشمالية من سيراليون ،وليبيريا ،وساحل العاج ،وقد أسس هذا الشعب قديما مملكة مالي التي سيطرت على معظم السودان الغربي خلال عدة قرون من العصر الوسيط[2] ،وهم من أوائل الشعوب التي اعتنقت الإسلام في السودان الغربي[3]،وهم كذلك أكثر ذكاء ،واعتبارا من بين جميع السود،وهم أغنياء بفضل تجارتهم ،إذ يزودون المناطق المجاورة بكثير من المنتجات ، ولهم مساجد كثيرة وأئمة[4].

"الماندينغ" كانوا يلقبون وطنهم الأصلي وفق اللهجات المنتشرة بينهم "كماني"، Mani"،ثم "مانن Manén"،ماندنغ" Mandeng"،ماندي" ،أو "ماني Mané"، ونشير إلى أن المصادر العربية في العصور الوسطى استعملت اسم "مالي Mali،أو ملي Malli" للتعبير عن الماندينغ[5].

1- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق،ص101.

2- نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،المرجع السابق،ص.15

3- Baba(K)et Elika(M): Histoire Général de l'Afrique,Collection Dan france,Paris,1979,P39.

4- الحسن الوزان: وصف إفريقيا ،ج**1**،ط2،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان،1983م،ص ص 164-165.

5- جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي بين(9م.11م)، رسالة ماجستير، في تاريخ المغرب الإسلامي،(غيرمنشورة)،جامعة الجزائر،2000م،ص 19.

ويبدوا أن سكان الماندينغ -حسب لويكي- ،كانوا في البداية يسكنون جنوب البلاد شنقيط، ثم اختطوا مع الرجل الأبيض، ومن الممكن أن يكونوا من العرب والبربر،والفنيقين،حسب دراسة لهجات هذه الأخيرة المستعملة في لغة الماندينغ[1].

ويعتمد نظام الماندينغ السياسي على قاعدة الشورى،بحيث يترأس السلطة السياسية والمعنوية مجلس من الكبار،يعينه الملك للتشاور في المسائل الهامة،ومن زعمائهم ساموري توري الذي حارب الفرنسيين ،وكون دولة تمتد من سيراليون إلى النيجر الأعلى ،وقد ساهم الماندينج في محاربة البمبارا الوثنيين إلى جانب الحاج عمر أثناء توسعه في مملكة سيقو[2].

3- التكرور(التوكلور):

مما جاء في رواية "البكري" عن "التكرور" أنهم سودان[3] ،ويذكر ياقوت الحموي أن التكرور بلاد تنسب إلى قبائل من السودان في أقصي جنوب المغرب وهم من الزنوج[4]. ويقول الدمشقي ،أن إسم "تكرور" يطلق على طائفة يسكنون بلدا يسمى بهذا الاسم ،وكلهم يرجعون إلى مغراوة وسفارة [5].

1- Lwicki,Tadeusz : Études Maghrébines et soudanaises.varsovie, ,Editions seientifiques.de pologne.1996,P32.

2– حسين جاجوا: حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،(غير منشورة)، جامعة الجزائر،1994م،ص ص 31–32.

3– البكري ابوعبيد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،ب.ت،ص.172

4– ياقوت شهاب الدين:معجم البلدان،مج**2**،دار صادر،بيروت،لبنان،ص.38

5– نبيلة حسن محمد:المرجع السابق،ص.107

6- Mauric, Delafosse: les noirs de L'Afrique,Paris.1922,P17.

أي أن أصلهم بربر ،والرواية تحوي شيء من الحقيقة فهي تعبر عن الاتصال الوثيق بين البربر والسودان،وتعبر أيضا عن هجرة البربر إلى بلاد السودان ،وهذا الأمر تؤكده الأبحاث الحديثة التي تقول أن التكرور من أصل سوداني مخلط بالدم الأبيض [1].في الشمال الإفريقي ،وقد تزاوج هؤلاء البربر مع التكرور،واستطاع كثير من هؤلاء،أن يتبوأوا مراكز سياسية هامة،ويحتلوا مكانة اجتماعية بارزة [2].

وقد اشتهر التكرور حتى أن إسمهم كان يطلق على السودان كله، وكانت تعني عند العرب المسلمين السود[3].

وقد حرص العرب على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان التي دخلها الإسلام وهي الممتدة من المحيط الأطلسي حتى حدود وادي النيل ،وأصبحت كلمة تكرور مرادفة لكلمة سوداني، وقد تبعهم المؤرخون السودانيون الذين كتبوا باللغة العربية ومن أجل ذلك ظلت المصورات الجغرافية الأوربية مدة طويلة تطلق لفظ تكروري على السودان الغربي ،أو الجزء الجنوبي من الصحراء الكبرى[4]،غير أنه في الحقيقة لا يتفق هذا التعميم مع الواقع ،لأن تكرور تدل بوجه التحديد على الموطن الحقيقي "فوتا سنقومايو" أو ما يعرف حاليا بالسنغال ،وموريتانيا بعد الاستعمار الفرنسي للمنطقة[5].

1- Mauric, Delafosse: les noirs de L'Afrique,Paris.1922,P17.

2- عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا،ط**1**،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1988م، ص ص 43-44 .

3- القلقشندي أبو العباس أحمد:المصدر السابق ، ص282.

4- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق،ص28.

5- عطية مخزوم الفيتوري:المرجع السابق، ص34.

وإعتنق التكرور،أوالتكلور الإسلام بحماس ،وكانوا بذلك أول المجموعات الزنجية في غرب إفريقيا التي انتشر بينها الإسلام،وحمل علماء التكرور راية الإسلام إلى ما جورهم من القبائل الزنجية[1]، وكانت حرفتهم الرئيسة الزراعة،وهم على جانب كبير من الذكاء ،والشجاعة،وقد لعبوا دورا كبيرا في مقاومة الغزو الفرنسي للمنطقة ،وكون منهم الحاج عمر إمبراطوريته الكبيرة التي امتدت من أعالي السنغال حتى أعالي النيجر[2].

وبينما خرجت من قبائل الفولاني الفئات الأرستقراطية الحاكمة لكثير من ممالك السافانا فان التكولور هم اليوم مصدر اليد العاملة غير مدربة في دكار، ونحن لا نكاد نلحظ فارقا واضحا بين الشعبين المتشابهين من حيث الخصائص الجسمية[3].

5- الولوف (الجلف):

يقول عنهم عبد الرحمن السعدي:« أنهم سودانيون(أي من أصل أسود)،وهم خيار من في الناس وطيبة،وخصهم الله سبحان وتعالى بالأخلاق الحسنة ،والسيرة المحمودة،ويتصفون بالنجدة، والشجاعة ،والوفاء»[4]. ويحتل شعب الولوف الشريط الساحلي الواقع فيما بين سانت لويس ،والرأس الأخضر ،ومنطقة دكار ،كما يتمركزون في الشريط الجنوبي لنهر السنغال، ويمتد توزيعهم الجغرافي إلى الداخل بحيث يشمل منطقة متسعة[5]،وقد تركزوا في ست تشكيلات من

1- أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق،ص171.

2- Spitz,Georges:Soudan français, Paris.1955,P34.

3- لويد ب. س :إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي،ترجمة شوقي جلال،سلسلة عالم المعرفة،1980م، ص34.

4- عبد الرحمان السعدي:تاريخ السودان،الترجمة الفرنسية لهوداس،باريس،1981م،ص78.

5- فيج،جي،دي :المرجع السابق،ص80.

الدويلات وهي : أوالو ،باوول،كايور ،سنيه،سالوم،وأخيرا الولوف. وكان يرأس كل منها رئيس منتخب ،وقد ارتبط هؤلاء الرؤساء بالولاء للرئيس الأعلى ،والرئيس لقبائل الولوف ،والذي كان لقبه(الولوف الأكبر)[1].

وتقاطيع الولوف زنجية،شديدة السمرة[2]،يتخذون من الزراعة حرفة رئيسية لهم فيزرعون الذرة ،والفول السوداني ،والقطن، ومن الحرف الأخرى صناعة المنسوجات القطنية ،والصناعات اليدوية البسيطة القائمة على المعادن[3]،أما اقتناء الماشية فيكاد يكون مقصورا على الطبقة الميسورة،وأهم خواص مجتمع الولوف تعدد طبقاته،وبعضها أرقى من بعض ،ولا يجوز أن يتزوج الشخص إلا من طبقته ،وأعلى الطبقات هي طبقة الأحرار،المنحدرين من أحرار،تليهم طبقة أتباعهم الذين أصبحوا أحرارا،ويأتي بعد ذلك أصحاب الحرف مثل: الحدادين ،ودباغي الجلود، ثم طبقة المنشدين،والمغنين ثم العبيد المتحررين أو نسلهم[4].

وكون الولوف نظاما حكوميا قويا يقوم على طبقة النبلاء، ولتثبيت حكمهم نراهم يحيطون أنفسهم بجهاز قوي من المحاربين ،وبالشعراء ،والمداحين الذين يغنون بخصالهم الحميدة، وفي كثير من الحالات يكون الحاكم في مركز من القوة يصعب إقصاؤه، ولم تكن للحاكم إيرادات خاصة ،ولكن النبلاء حكام الأقاليم يقدمون له كل سنة هدايا من الخيل ،والماشية ،والغنم ،والذرة ،وغيرها كسب رضاه عنهم[5].

1- فيج،جي،دي :المرجع السابق،ص80.

2- عطية مخزوم الفيتوري:المرجع السابق، ص33.

3 محمد عوض محمد:الشعوب والسلالات الإفريقية،الدار المصرية للنشر،مصر،1965م،ص53.

4- أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق ، ص 194.

5- محمد عوض محمد: المرجع السابق،ص53.

تكن للحاكم إيرادات خاصة ،ولكن النبلاء حكام الأقاليم يقدمون له كل سنة هدايا من الخيل ،والماشية ،والغنم ،والذرة ،وغيرها كسب رضاه عنهم[1].

6- السنغاي:

يعيش هذا الشعب في محاذاة منحى النيجر[2]، أي الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو وتمتد دولتهم على ضفتي نهر النيجر[3] إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا ،وشمال نيجيريا[4].اختلطوا بالطوارق والفولاني ،وهم معتدلو القامة،واختلاطهم بالحاميين الشماليين أدى إلى ظهور أنفهم الجميل ،ولونهم النحاسي البني،وقبل القرن الثامن الميلادي عاشوا بجانب شعوب الصيادين هم الجو بقرب مدينة نيامي لكي يبتعدوا عن ضغط الهوسا وصعدوا النهر خلال القرن الثامن عشر،واختلطوا بقبائل لمتونه البربرية[(5)] ،تتكون قبائل السنغاي من جماعتين رئيسيتين هما : المزارعون،وصائدو الأسماك[(6)].

وقد كون هذا الشعب إحدى الممالك الإفريقية القديمة غربي إفريقيا بعد أن قهروا المنادينج، واستولوا على مملكتهم مالي[(7)]،ويعتقد العلماء أن هذا الشعب قد اختلط بعناصر عربية ،أو بربرية[(8)].

1- أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق،ص.170

2- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم :المرجع السابق،ص102.

3- إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية،مؤسسة الكتاب،الجزائر،1984م، ص242.

4- اليونسكو :تاريخ إفريقيا العام،السنغاي من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر،ج4،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1988م،ص199.

5- محمد عدنان مراد:المجتمعات الإفريقية ،منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1995م، ص ص114-115.

6- عصمت عبد اللطيف دندش:المرجع السابق،ص48.

7- أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي،ج**6**،ط**5**،مكتبة النهضة المصرية،1990م،ص70.

8- نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،المرجع السابق،ص15.

وقد انتشر الإسلام بين قبائل السنغاي عن طريق احتكاكهم بالطوارق ،والمغاربة الذين وفدوا عليهم أواخر القرن السادس عشر ،وذلك عند قيام أحمد المنصور بحملته سنة1491م على مملكة سنغاي[1].

7- السوننكي(السراكول):

يعيش "السوننكsoninke ،أوserakoole"[2] على السواحل الغربية للقارة ،ويتوغلون جنوب الصحراء[3] ،وقد امتزجوا بالبربر والفولانيين ،وهم من الزراع الذين ارتبطوا بالأرض غير أن هذا لم يحل دون انشغالهم بالتجارة، ولعل اختلاط السوننك بغيرهم من العناصر، ولاسيما البربر هو الذي غير بعض الشئ في لون بشرتهم،وقد أقاموا أقوى إمبراطوريات السودان الغربي ،وهي إمبراطورية غانا[4].

واعتنقوا الإسلام في وقت مبكر،مما أثر في حياتهم الاجتماعية ،والثقافية،ثم عملوا على نشره في السودان الغربي، وينقسم هذا العنصر إلى مجموعات سكانية يتخذ كل منها اسما مشتقا من المكان الذي يستقر فيه،وقد شارك "السوننك" إلى جانب قبائل "البمبارا" في محاربة "الحاج عمر الفوتي"، أثناء زحفه على منطقة كارتا[5].

1- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم :المرجع السابق،ص102.

2- تعني كلمة السراكول عند قبائل الولوف الرجال الحمر .ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش:المرجع السابق،ص46.

3- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم :المرجع السابق،ص101.

4- Fage,J.D:Antroduction to the history of west Africa Combridge,1959,P18.

5- زكي عبد الرحمان : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا،مطبعة يوسف،القاهرة،ب.ت،ص103.

- **الديولا(الفيلوب):** Dyola

يعرف شعب الديولا باسم الفيلوب Felup[1] ،وتدل كلمة "الديولا" على معنى التجار، وهم في الحقيقة من أصل زنجي اشتهروا بالتجارة،ينتشر هؤلاء في رقعة كبيرة جدا من السنغال إلى نيجيريا، وقد قدموا إلى السنغال عن طريق شمال إفريقيا في القرن التاسع، وفيما بين القرن الرابع عشر والسابع عشر هاجرو هجرة معاكسة باتجاه تشاد تاركين على طول الطريق جماعات منهم استقرت بين الزنوج ،وامتزجت بينهم،أو انعزلت عنهم[2].

ويجتمعون في شكل جاليات صغيرة بين الوطنيين،في ثنية النيجر ،وفي فولتا العليا،وساحل الذهب ،وقد اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر[3]، وظل الباقي منهم على وثنيته، ويمتاز هذا العنصر بالملامح الزنجية الصرفة،ويقوم مجتمعهم على نظام الانتساب إلى الأم – مجتمع أموي– ،وقد ساهم هذا العنصر في تنشيط المبادلات التجارية بين البريطانيين المتمركزين في ساحل الأطلسي[4].

9– الهوسا:

يكونون شعب نيجيريا الشمالي[5]،وهذا الشعب ينتشر بين الصحراء الكبرى شمالا وبين نهر بنوي جنوبا ،وتنتشر لغة هذا الشعب من تشاد إلى أعالي الفولتا[6] والى هذه المجموعة

1- فيج،جي،دي : المرجع السابق،ص84.

2- نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،المرجع السابق،ص16.

3- نبيلة حسن محمد: المرجع السابق،ص110.

4- سليجمان س، ج : المرجع السابق،ص59.

5- أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق ، ص 196.

6- نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،المرجع السابق،ص15.لمعرفة المزيد عن لغة الهوسا.ينظر: كتاب مصطفى حجازي السيد حجازي: معجم سياقي للكلمات العربية في لغة الهوسا،معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى،مكة المكرمة،1986م.

تنسب أغلبية الشعوب إلى تسكن في منطقة تشاد،وهذه المنطقة تسكنها شعوب عديدة امتزجت بسكان الصحراء المعروفين باسم "التوبو Toubou"،ومن هذه الشعوب التشادية شعب "الكانوري Kanouris" في بورنو وشعب "الباكيرمي Baguirmi" في حوض نهر شاري[1].

وقد كان للهوسا سبع إمارات شهيرة،وهي إمارة "دورا Daura"،و"كان" و،"وزازاو Zazaw" ،و"زجزج Zegzeg ،"جوبير Gobir"،وكاتسينا" Katsina"، و"بيرام Biram"،و"رانو Rano" [2].

ولا نستطيع تحديد تاريخ دخول الإسلام في أرض الهوسا، ولكن يرجح أنه دخل البلاد في القرن الرابع عشر عن طريق تجار "الديولا" ،وتجار مالي ،ولكنه لم ينتشر إلا في القرن الخامس عشر،وكان الإسلام في البداية هو دين الصفوة ،وطبقة الأدباء ،وظلت الوثنية هي السائدة ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية ،وظل الأمر كذلك حتى ظهرت الحركة الإصلاحية التي قادها "عثمان دان فوديو"[3] ،فقامت بالدعوة إلى الدين الصحيح. ،وفي عام 1786م، بدأ "عثمان دان فوديو" في إرسال البعثات لمختلف المناطق المجاورة لنشر أفكاره الداعية إلى العودة إلى الاعتقاد الصحيح ،وذلك بعد امتزاج الدين الإسلامي بالسلوكيات والعادات الوثنية .ويشكل الهوسا أكبر مجموعة مسلمة متماسكة شمال نيجيريا، وتنتشر لغتهم – الهوسا– ،في شمال نيجيريا والنيجر ، وتعتبر من أكبر اللغات انتشارا بغرب إفريقيا[4].

1- نفسه،ص.15

2- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق ،ص42.

3- نفسه،ص42.

4- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق،ص102.

- البمبارا:

تنتشر قبائل "البمبارا" في السنغال ،ومملكة مالي ،وحوض نهر السالوم ،وأعالي النيجر[1]. كثيرون على الساحل ،زراع ،ويعتنقون النظام الأبوي[2]. إلى أن اسم "بمبر" أو "بنمه" ban-ma na" بمعنى الانفصال عن الأم[3].

يعيشون في قرى صغيرة،بحيث تتألف القرية من أسرة واحدة. وكانت منازلهم عبارة عن أكواخ مستديرة الشكل تسقف بالقش.ويرأس كل جماعة من جماعات البمبارا شخص يتولى السلطتين الدينية والزمنية،بل ويمثل سيد الأرض، وكان هذا السيد ينتخب من بين أفراد القبيلة [4]. خضعت شعوب البمبارا لسلاطين مالي ثم ظفروا باستقلالهم في القرن السابع عشر واستقلوا تماما عن باشاوات تمبكتو والمراكشيين ،وأخذوا يتوسعون في القرن الثامن عشر،فاندفعوا نحو الشمال الغربي ،وأسسوا أمارة كارتا على النيجر والتي احتفظت باستقلالها طوال القرن الثامن عشر[5].

تمسك البمبارا بوثنيتهم ،وكونوا ممالك وثنية في المنطقة الواقعة عند المجرى الأعلى لنهر السنغال من "ميدين Medine" حتى "باقولابي Bafoulabé" وعند نهر النيجر من بماكو حتى سانسندنج Sansanding[6] ،ومن هذه الممالك نجد مملكة "سيقو Ségou" الواقعة في أواسط حوض نهر النيجر والتي كانت تتألف من تكتل قبائل البمبارا الوثنية.

1- محمد عدنان مراد : المرجع السابق ،ص 113.

2- نبيلة حسن محمد: المرجع السابق،ص110.

3- Delafosse,Mauric: op.cit,P39.

4- فيج،جي،دي : المرجع السابق،ص69.

5- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا دار الفكر العربي،مصر ،1963م،ص283.

6- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق ،ص29.

وفي عام 1696م قام هذا التكتل بالهجوم على العاصمة "كانغابا" انتهى بدفع مالي الجزية للوثنيين ،ثم أعادوا الكرة عليها في مطلع القرن الثامن عشر فهدموها ،وأضطر أهلها إلى مغادرتها إلى المناطق المجاورة، ولما دب الضعف في مملكة سيقو الوثنية بسب التنافس القبلي أعاد سلاطين مالي بناء عاصمتهم واستقروا فيه قرابة قرن ونصف حتى هاجمهم الاستعمار الفرنسي ،وأحتل كانغابا سنة1893م[1].

وقد اشتهر البمبارا بنموذج بيوتهم الطينية العالية على شكل أسطوانة كما اشتهروا بالصناعات الدقيقة الفنية الخشبية منها والمعدنية ،وبصناعة الأقنعة المعروفة باسم "الدوغن"، وتمزج لديهم النواحي الدينية بالدنيوية حيث توضع بيد رجل واحد يعرف باسم "دوجو تيجي" ،أو سيد الأرض[2].

وعرف البمبارا بعدائهم الشديد للمسلمين ،وقد ظلت ممالكهم قائمة على نهر النيجر حتى قضى عليها "الحاج عمر الفوتي"[3].

1- محمد فاضل وسعيد إبراهيم:المرجع السابق،ص89.

2- محمد عدنان مراد : المجتمعات الإفريقية ،ص ص 114-115.

3- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ،ص29.

- الموسي:

تنتشر قبائل "الموسي" في مناطق حوض الفولتا ،وكان لهذا الشعب مملكة انهارت بمجئ الاستعمار ، وهذه المملكة كانت تمثل ذروة التكتل الوثني ولهذا الشعب فروع كثيرة تتوزع على شكل قبائل في المناطق المجاورة[1].

ويشتهر الموسي برعي وتربية الماشية والخيول والحمير وبزراعة الذرة[2] ،وهم وثنيون يقدسون الأسلاف ،وعبادة الشمس ،والقمر المعروفة عند بعضهم ،ويكتنفها بعض الغموض عند البعض الآخر ،وكهنة هذه العبادة هم الذين يقومون أثنا السنة على النار المقدسة التي يبقونها مشتعلة من فتحة صغيرة بحائط الكوخ [3].

ولقد استطاعت الأرستقراطية الحاكمة عند "الموسيMossi "أن تفرض الاستقرار الداخلي ،وأن تحمي الدولة ضد كل اعتداء خارجي،فالنبلاء في الدولة يؤلفون المجموعة الإدارية الحاكمة،فهم رؤساء للقرى ،والمقاطعات ،والمناطق، ويعيش تحت سلطتهم مجموعة من الفلاحين ،والعمال الوضعيين كالحدادين الذين تعمل نساؤهم في صناعة الخزف ،والحلي ،والنجارة،والصباغة ،وغيرها، أما تربية الماشية فيقوم بها قبائل البول وكذلك التجارة فهي بيد اختصاصيين[4].

1- نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،المرجع السابق،ص ص19-20.

2- أحمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق،ص 195.

3- فيج،جي،دي : المرجع السابق،ص64.

4- دنيس بلوم: الحضارات الإفريقية،تر، علي شاهين،منشورات دار مكتبة الحياة لبنان،1974م،ص125.

- السرير:

يستوطن شعب السرير في شريط من الأرض يمتد في مابين نهر غامبيا والسالوم الواقعين جنوب الرأس الأخضر[1]،وهم يجاورون التكرور ،ويكونون مع الولوف جزءا من إمبراطورية التكرور[2] ،وبالمثل فقد اختلطت قبائل السرير بقبائل المانديغ التي ينتمي إليها معظم أسر السرير الحاكمة[3].

ويختلف شعب السرير عن التكرور والولوف في أنهم يعتنقون المسيحية وليس الإسلام والبعض منهم بقي على وثنيته حتى العصر الحديث[4]، ولكن الطبقة الحاكمة وطبقة المحاربين اعتنقت الإسلام حديثا[5]،ولقد كانت لغة الولوف هي اللغة الرسمية لدويلات السرير[6].

ويتكون مجتمع السرير من سبع طبقات أهمها طبقة الجنود ،والقضاة،وجامعو الضرائب.يليهم طبقات الأحرار ثم يأتي في المرتبة الثانية العمال المهرة كالحدادين ،والنساجين ،والدباغين ،والخراطين ،والمغنين ،والمداحين ،والموسيقيين ،وآخر المراتب في المجتمع هم العبيد ،وكانت النظم الاجتماعية لمجتمع السرير ترتكز على الديانات التقليدية التي قاومت الزحف الإسلامي إلى أواخر القرن التاسع عشر[7].

1- سليجمان ،س،ج:السلالات البشرية في إفريقيا،تر، يوسف خليل،القاهرة،1959م،ص53.

2- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ،ص28.

3- فيج،جي،دي : المرجع السابق،ص81.

4- إلهام محمد علي ذهني : المرجع السابق ،ص28.

5- Cheikh Anta,Diop.:Nations negres et culture.Paris,presence africaine,1955,P131.

6- عطية مخزوم الفيتوري:المرجع السابق،ص34.

7- أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق،ص169.

تعتبر هذه مجموعة من المجموعات غير مترابطة تتكون أصلا من زعامات صغيرة ثم توافدت على المنطقة هجرات مجموعة الماندينج ،وتسلمت بعض الزعامات. وأهم دولتين في المنطقة هما "ريني"، "وسالوم"،" وهذه الأخيرة امتد نفوذها إلى غاية نهر غامبيا.أما بقية دول المنطقة الصغيرة فإنها كانت تتبع إحدى الدولتين ريني وسالوم[1].

---

1 - نفسه،ص169.

اللغات السودانية :

إن تعدد اللغات في إفريقيا أمر طبيعي،فالقبائل الكثيرة العدد التي كانت تعيش في إفريقيا قبل تكوين الدول كانت كل منها مستقلة تقريبا ولها لغتها ،و اتجاهها الديني،ثم إن الصحاري والغابات والمستنقعات تقيم حدودا صارمة بين مكان وآخر،وبالتالي تقيم هنا

لغة غير اللغة التي توجد هناك،وكثيرا ما كانت القبيلة لها لغة واحدة، ثم انقسمت القبيلة

إلى بطون وأفخاذ بعامل الزمن وكثرة العدد،وبمرور الوقت اختلفت اللهجة التي يتحدث بها هذا القسم عن اللهجة التي يتحدث بها قسم أخر، وبعد فترة أخرى تتحول كل لهجة إلى لغة تكاد تكون مغايرة للغة الأصلية[1] والحديث عن اللغات في إفريقيا حديث مجهد،ففي إفريقيا ما يصل الى800 لغة ولهجة.

والواقع أن الناس يتجمعون معا بالدم والجوار واللغة،وقد يبدو من المستحيل رسم حدود فاصلة حول مناطق اللغة الواحدة أو حتى اللهجة الواحدة في إفريقيا[2].

ويرى مجموعة من الباحثين ، وفي مقدمتهم ريشار مولار، أن تحديد المجتمعات بالتقسيم اللغوي أكثر دقة في دراسة أصول المجتمع الإفريقي دراسة علمية ويقف في سبيل هذا الاتجاه وجود أكثر من150 لغة في إفريقيا الغربية،كما أن بعض الشعوب الإفريقية قد تركت لغتها القديمة واستعملت لغة الشعب الغازي أحيانا،أو لغة الشعب الذي هاجت إلى بلاده أحيانا أخرى،ويرى علماء آخرون أن كثرة اللغات تدل على كثرة الأصول ،وتعددها ،واختلافها.وقد وصل بعض العلماء إلى نتيجة هامة ،وهى أن هذه اللغات على كثرتها تعود إلى أصل واحد هو اللغة السودانية الأم وهذه

1- أحمد شلبي : المرجع السابق،ص56.

2- محمد عبد الفتاح إبراهيم:إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،ب.ت ،ص54.

اللغة تشبه إلى حد كبير اللغة السائدة في المهد الأول لشعوب إفريقيا الغربية[1].

وقد أرجع بعض العلماء أن العديد من هذه اللغات إلى أصول مشتركة،بسب التقارب في اشتقاق كثير من كلماتها، وتلتقي هذه الأصول عند اللغة السودانية الأم التي تفرعت فيما بعد إلى الزمر التالية:

أ- الزمرة السنغالية الغينية: تشمل اللغات التي يتكلم بها سكان الساحل الغربي من إفريقيا الغربية، وأشهرها البوهل ،والولوف ،والتكرور ،والسرير.

ب- الزمرة النيجرية السنغالية: تنتشر بين أعالي النيجر وتمبكتو،وأشهرها:السونغاي والمالانكة،والساراكولة ،الصوصو.

ت- الزمرة النيجيرية التشادية: تنتشر في شرق النيجر ،وشمال نيجيريا، وأهمها لغة الهوسا في شمال نيجيريا ،وتتفرع هذه اللغة إلى لغات محلية حول بحيرة تشاد أهمها الكانوري.

ث- زمرة الفولتا السودانية: تنتشر في شمال ساحل العاج وحول فروع الفولتا وشمال غانا والداهومي، ومن أشهر لغاتها الموسي Mossy ،والياتنكا ،و السينوفو Sénooufo.

ج- الزمرة الليبرية الداهومية: تنتشر في المناطق الساحلية الممتدة من ليبيريا حتى نيجيريا وأبرز لغاتها لغة الأشانتي في غانا والمناطق المجاورة ،واليوروبا في جنوب نيجيريا ،وهذه الأنواع الخمسة تسمى باللغات الإفريقية[2].

1- نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،المرجع السابق،ص.22

2- نفسه،ص24.

في الأخير يمكن أن نقرر أن المهم ليس أصل اللغات المحلية بل،واقعها الذي يشهد بكثرتها في إفريقيا كثرة باهظة، وما يلاحظ أن أغلب اللغات الإفريقية لغات تفاهم،لا تكتب،وليست لها حضارة ذات بال ، مقارنة باللغة العربية،وكانت كثرة اللغات ،واللهجات من جانب، وضحالة غالبيتها العظمى من جانب آخر من أسباب تمزيق القارة،لأن اللغة من أهم أسس القومية،وكلما كثرت اللغات تشتت الجماعات،وكلما ضعفت اللغات ضعفت الثقافات، واللغات التي لا تكتب تعيد مناطقها إلى مرحلة ما قبل الكتابةPre literate time.[1]

2- اللغة العربية :

قامت مدن وموانئ الشمال الإفريقي بدور لا يمكن تجاهله في نقل المؤثرات الحضارية والاقتصادية إلى شعوب السودان الغربي،وتم ذلك عبر الصحراء الكبرى، التي لم تكن عاملا من عوامل الانفصال بقدر ما كانت حلقة هامة من حلقات التواصل الثقافي ،والاقتصادي بين المناطق الواقعة في شمالها ،والمناطق الواقعة في جنوبها من إقليم السودان الغربي[2].

وقد ترتب على تلك الاتصالات امتزاج الثقافة العربية بالثقافات المتعددة لشعوب السودان الغربي أو فيما يطلق عليه علماء الاجتماع التداخل الحضاري Acculturation ،وهو أمر أسفر عن ظهور ثقافة عربية إفريقية واضحة المعالم بعد أن وجدت شعوب السودان الغربي في ذلك المزيج المركب أساسا لبناء مستقبلها السياسي والاجتماعي[3].

1- أحمد شلبي : المرجع السابق،ص.56

2- جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي،مصر ،1996م،ص9.

3- نفسه،ص10.

لقد سادت اللغة العربية المنطقة منذ أن دخلت هذه الأخيرة الإسلام،أي منذ القرن الأول الهجري والسابع الميلادي، وقد انتشرت اللغة العربية بانتشار الإسلام،ذلك لأن الضرورة تقتضي بأنه على أي فرد دخل الإسلام أن يتعلم ولو قسط زهيد من اللغة القرآن لتأدية فرائضه الدينية،ومن ثمة توطدت أركان اللغة العربية تدريجيا إلى أن بلغت أوج انتشارها [1]،كما سهل من انتشارها تقاربها مع بعض اللغات الإفريقية في كثير من المظاهر الصوتية و اللفظية و تداخلت كلمات من العربية مع لغات القبائل المحلية فأصبحت اللغة العربية بعد الإسلام لغة دين ،وحضارة راقية ،و تكلمت بها بعض الشعوب بجوار لغتهم الأصلية ، فأصبحت اللغة عامل جذب ثقافي للإسلام[2].

اكتسبت اللغة العربية مسحه من التقديس عند مسلمي السودان الغربي عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية كما كانت لغة الحكومة ،والمراسلات الدولية ولغة التجارة ،أي أنها كانت اللغة السائدة ،ويقول توماس أرنولد :(غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية)[3] ،ويقول ديشان:(ولم تكتف قبائل الممالك الإفريقية بدخول الإسلام ، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد)[4].

1- عمار هلال : المرجع السابق،ص57.

2- J.C. Froelinch , Les Musulmans D'Afrique Noire , " Lumieres et Nations " Paris , Editions de l'Orante , 1962. PP268-270.

3- السر سيد أحمد العراقي: انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقية عبر التاريخ،في مجلة الدراسات الإفريقية الإلكترونية ، مركز الدراسات الإفريقية ، جامعة افريقية العالمية بالسودان.

4- هـ . ديشان: الديانات في إفريقية السوداء ، تر، أحمد صادق ، القاهرة 1956م ،ص 132.

ونتج عن انتشار اللغة العربية في السودان الغربي ظهور حركة علمية إسلامية في ميادين الأدب ،والتاريخ ،والعلوم الإسلامية ،وعلوم اللغة العربية، وظهر الشعراء والبلغاء ورجال الفكر ويكفينا هنا أن نذكر عبد الرحمان السعدي وأحمد بابا التمبكتي ،ومحمود كعت[1]،وغيرهم من أبناء السودان الغربي الذين تمكنوا في اللغة العربية ،وألفوا بها في شتى مجالات العلم والمعرفة كسليمان السرموكي،الذي كانت له محاولات شعرية طيبة،وله بعض المؤلفات في الفقه ،والأدب ،والرياضيات،و محمد الأمين بن أحمد ريدان الحكني الذي له تأليف مختصر تحت عنوان: مراقي السعود المبتغى الرقي والصعود[2].

وقد أثنى كثير من المؤلفين الغربيين على إنتاج الأفارقة باللغة العربية، منهم شاربونو Charboneau في دراسة له لتطور الثقافة العربية في السودان الغربي وقد أستند شاربونو أساسا على كتاب تكملة الديباج لأحمد بابا التمبكتي وانتهى إلى نتائج هامة منها أنه أبدى إعجابه ،ودهشته الشديدين بتطور الثقافة العربية في المنطقة، ويذكر أنه ما يقارب 17عالما عاشوا بين القرنين الثامن والتاسع عشر كان جلهم قد تعلم في مكة والمدينة والقاهرة، وينوه المؤلف بالمستوى الثقافي العالي الذي اتسم به هؤلاء السودانيون مشيرا في نفس الوقت إلى الخدمات الثقافية التي يقدمونها للحضارة العربية الإسلامية في المنطقة ويعطي "شاربونو"،نماذج مخطوطة عن مؤلفاتهم ،وهي في أحسن الروعة الأدبية والدقة اللغوية ،والذوق الفني[3].

إن هذا الانتشار الكبير الذي شهدته اللغة العربية في السودان الغربي خلال القرنيين الثامن والتاسع عشر جعل إدارة الاحتلال الفرنسي تنظر بحذر لهذه الظاهرة ،وقد أثار ذلك

1-عمار هلال : المرجع السابق،ص125.

2- نفسه،ص.49

3- عمار هلال :المرجع السابق،ص52.ينظر:زكريا عبد الجواد: مالي شجن إمبراطوري،في- مجلة العربي- عدد-578- جانفي 2007م- ص ص 41-42.

مخاوفها، من نتائج قد تترتب عن تثقيف الأفارقة الزنوج ثقافة عربية إسلامية قد لا تكون لصالحها، بل اعتبرت ذلك من أكبر المصائب ،ومن ثمة عمدت إلى اتخاذ مواقف مناوئة من اللغة العربية تمثلت هذه المواقف في جملة المراسيم والقوانين والقرارات العديدة التي أصدرتها لعرقلة انتشار اللغة العربية في السودان الغربي، تمهيدا للقضاء عليه ،وإحلال الغلة الفرنسية محلها[1].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن العرب لم يفرضوا على السودانيين ثقفاتهم وإنما حافظوا على الثقافات الإفريقية السودانية،كما لم يقم العرب بهدم المؤسسات المحلية، بل إن تلك المؤسسات اتخذت أشكالا جديدة في إطار الحضارة الإسلامية، وطبقا لما تؤكده بعض الدراسات المنصفة أنه عندما تقابل العرب ،والسودانيون في موطنهم حدث اندماج صحي ،وليس نوعا من الامتصاص ،أو القمع التعسفي، مثل الذي مارسه المستعمرون الأوربيون، وفرضهم للغتهم وثقافتهم على الإفريقيين ،إذ لم يندمجوا معهم وعملوا على تكوين مجتمعات بيضاء متعالية، تعزل الإفريقيين وتحول بينهم وبين ممارسة حقوقهم المدنية والسياسية والاقتصادية،كما اتخذوا من التبشير والتحديث عوامل لفصل الإفريقيين عن ماضيهم وتراثهم تمهيدا لاستغلالهم ماديا ،وبشريا ،والهيمنة عليهم سياسيا ،وفكريا[2].

1- نفسه،ص.61

2- جمال زكريا قاسم: المرجع السابق،ص ص 10-11.

ومما سبق يمكن القول أن السودان الغربي يتمتع بموقع إستراتيجي هام بالنسبة للشعوب القاطنة على أديمه ،أو الشعوب الوافدة التي وجدت في السودان الغربي موطنا مناسبا لها للعيش والاستقرار، وهذا ما أثر في ما بعد على سير الأحداث التي شهدتها المنطقة،كما أن الصحراء الكبرى رغم صعوبة تضاريسها، وكثافة رمالها، ومناخها الحار، والجاف لم تكن حاجزا يمنع من التواصل الحضاري بين مراكز الشمال الإفريقي ومنطقة السودان الغربي.

فقد ترتب عن هذا التواصل بين شعوب الشمال الإفريقي، وشعوب السودان الغربي ،ظهور جنس يجمع الصفات العربية ،والإفريقية ، كما نشأت حضارة عربية إسلامية راقية لها طابع إفريقي،وكان لأثر هذه المشاركة جانب إيجابي تمثل في ذلك الميراث الثقافي الديني الذي منحه العرب للأفارقة ،وامتزاجه مع ما كان تهيأ لهم من حضارة وثقافة خاصة[1].

وإلى جانب الفاتحين العرب لعبت عدة شعوب سودانية دورها في التاريخ الحضاري للمنطقة مثل شعب الماندي ،والسونغاي ،والفولاني ،والهوسا التي أصبحت سودانية اللغة والحضارة،ففي السوداني الغربي اتضح لنا كيف اتحدت أعداد كبيرة من القبائل الصغرى ،والكبرى في اتحادات قبلية كبرى بينما امتصت القبائل الكبرى الصغرى، كما نجحت بعض القبائل الصغرى في الحفاظ على أراضيهم، كما نجح البعض الآخر في الحفاظ على استقلاله ،وذلك بالانعزال في إحدى الأقاليم التابعة للدولة الجديدة، وبمضي القرون قامت القبائل السودانية بالهجرة من دواخل السودان الغربي نحو الغرب إلى حوض السنغال

1- نفسه،ص 10.

،وغامبيا ،والى الجنوب إلى سواحل خليج غينيا ثم إلى الجنوب الشرقي إلى أمادوا ،وخلفها من الإقليم الواقع بين الكونغو ،والنيل ،وأخيرا نحو الشرق إلى السودان الشرقي ،وأثيوبيا[1]

ولعل أهم أثر نتج عن التواصل بين الشعوب العربية ،والشعوب السودانية هو انتشار الإسلام في المنطقة ، وأن هذا الانتشار خاصة خلال القرن التاسع عشر الميلادي مدين بالكثير للزعماء السودانيين أمثال الشيخ عثمان دان فوديو ، والحاج عمر تال ، وساموري توري. والأولى بنا أن نقول بالنظر للواقع التاريخي الذي مر به الإسلام في المنطقة: « أن السودانيين أنفسهم هم الذين أخضعوا الجماعات الإفريقية الوثنية بالقوة وأدخلوها تحت راية الإسلام ،وذلك من باب الغيرة عليه ،والتحمس له»[2] .

1- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق،ص.23

2- عمار هلال : المرجع السابق،ص ص34-35.

المحور الثاني :

ممالك السودان الغربي (غانة – تكرور – مالي – سنغاي)

1/ - مملكة غانة

تعد مملكة غانة من أقدم الإمبراطوريات الإفريقية التى شهدها السودان الغربي، وقد تضاربت الروايات حول أصولها وبداياتها الأولى بالإضافة إلى تقدير مساحتها ورسم حدودها [1]، وربما يرجع ذلك إلى ندرة الوثائق الخاصة بغانة، فإن أغلب المعلومات المتداولة حول فجر تاريخها ليست دقيقة، بحيث يمكن الاعتماد عليها، غير أن هذه المعلومات تبدأ في الوضوح والدقة منذ مطلع القرن الثامن الميلادي وهذا ما أكده بعض المؤرخين، إذ يقول محمود كعت أثناء ذكره لملوك غانة الأوائل الذين تعاقبوا على حكمها " وقد بعد زمانهم ومكانهم ولا يؤتي المؤرخ في هذا الزمان، أن يؤتي بصيغة شئ من أصولهم بقطع بها، ولم يتقدم لها فيعتمد عليها ". أما بالنسبة لكلمة غانة يرى الرحالة الجغرافي عبيد الله البكري[2] بأن هذه الكلمة كانت سمة لملوكهم ربما لأنها تحمل معنى " القائد العسكري " ثم اتسع بعد ذلك مدلولها وأصبحت تطلق على العاصمة التي يعيش فيها الملوك، أما ياقوت الحموي فقد ذكر " فإن غانة مدينة كبيرة يلي جنوب بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان واتسع مدلولها مرة أخرى، فصارت على المملكة بأكملها مع بقائها على العاصمة [3].

ومن جهة أخرى يقال أن هذه التسمية قد أطلقها المؤسسون الأوائل لهذه المملكة وهؤلاء هم المهاجرون من أهل برقة الليبيين والتجار الوافدين على المنطقة من الشمال الإفريقي وهذا راجع لغنى

---

[1] – ذلة زوليخة بن رمضان: المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين القرنين 5و10هـ/ 11و16م، (د ط)، دار أبي رقراق، المملكة المغربية، 2018م، ج2، ص347.

[2] – إبراهيم علي طرفان: إمبراطورية غانة الإسلامية، (د ط)، الهيئة المصرية، (د ب ن)، 1970م، ص16.

[3] – أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي (ط5)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص102.

هذه الأخيرة بالذهب[1]، أما حدودها الجغرافية فهي تمتد من الصحراء الكبرى في الشمال ومن إقليم الغابات في الجنوب بينما كانت تمتد في العرض بين المحيط الأطلسي غربا وأرض وانقارة شرقا، فهي تمثل اليوم جنوب موريتانيا وشرق السنغال وجزء من مالي وغينيا، وهذا يوضح أن مملكة غانة القديمة غير غانة الحالية[2].

أما عن أصول سكان إمبراطورية غانة التاريخية فقد انتقلت وتعددت الروايات، حيث ورد بأنهم يسمون أنفسهم (التورد) أو (التوروث) وان مقدمهم من وادي دجلة والفرات أي أن لهم أصول أشولية وبابلية قديمة[3] ويتضح من خلال ماورد انتمائهم إلى العنصر الذي يرجع أصل موطنه إلى منطقة جبال طوروس، ووصل ذروة مجده في التاريخ في وادي دجلة والفرات، وهذا أمر مألوف عندما ترجع أصولهم إلى أصول شرقية لأن أغلب شعوب السودان الأوسط والغربي وهي الشعوب التي اشتهرت في التاريخ وكونت لها إمبراطوريات واسعة منها وارثة غانة وغيرهم[4]

هذا وقد ورد أيضا أن أهم القبائل التي شكلت أغلب سكان إمبراطورية غانة في العصور الوسطى هي قبائل السوننك [5] Soninke ، وقد كان هؤلاء يقيمون في الصحراء ثم استقروا بعدها على حافتها الجنوبية فيما اشتهر باسم "الساحل" وامتزجوا مع البربر والفولانيين[6] ولعل اختلاطهم بغيرهم من

---

[1] – الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، (ط1)، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 1999م، ص22.

[2] – وريد عبد القادر نوري: تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4-10هـ/10-16م، (دط)، جامعة الموصل، 1985م، ص144.

[3] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق: ص22.

[4] – إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق: ص19.

[5] – السوننك: (السيراكول) لقد كانت الصحراء مسكنا لهؤلاء ثم استقروا بعد ذلك على الأطراف الجنوبية لها في المنطقة المعروفة باسم الساحل، وقد كان السوننك قد امتزجوا بالبربر والفوني ولونهم أقل سوادا من الولوف، وكلمة (ساراكولية) تعني الحمر مما يدل على أن أصلهم ليسوا بزنوج وعددهم في السنغال حوالي 65 ألف، أما في مالي فقد بلغوا 35 ألأف وهؤلاء كانوا قد شكلوا العمود الفقري لمملكة غانة لمزيد ينظر، محمد عدنان مراد: المجتمعات الإفريقية أصولها – تاريخها وشعوبها وثقافتها، (دط)، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د ب ن)، 1995م، ص144.

[6] – الفولانيين: ويعد هؤلاء من الشعوب المهمة، وقد بلغ عددهم حوالي عشرة ملايين شخص ينتشرون بشكل واسع جدا بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد والكامرون، ولقد تعددت أسماؤهم حيث أطلق عليهم العرب شعب الفلان وأطلق عليهم الطوارق اسم

العناصر وخاصة البربر هو الذي غيّر بعض الشئ في ألوانهم حتي أن الولوف[1] Wolof يطلقون على السوننك المقيمين في حوض السنغال اسم سيركول أو سراكول حيث تعني هذه التسمية عند الولوف الرجال الحمر أو الناس الحمر وهذا ما يوضح على أنهم لم يكونوا صريحين في الصفات الزنجية النقية[2]

لقد استطاعت في القرن الأول الميلادي جماعة من البيض جاءت من الشرق أو من شمال إفريقيا تحديدا من برقة أن تسيطر على السوننكي وأن تؤسس أول حكومة في تلك المنطقة، وقد كان مقرها مدينة كومبي صالح[3] التي تقع بين نهر السنغال والنيجر في منطقة – أوكار– وقد اتسع نفوذ هذه الدولة فشمل مناطق واسعة بين أعالي نهر السنغال والنيجر، وقد كانت هذه الأخيرة تعتمد على الزراعة بالإضافة إلى التجارة التي اشتهرت بها وخاصة الذهب حيث عرف ملوكها باسم الذهب، أما الدولة فقد عرفت باسم إمبراطورية غانة، وفي القرن الثاني الهجري تسكن السوننكي من طرد الجماعة البيضاء من المنطقة، واستطاعوا تأسيس أسرة حاكمة لهم بقيت في السلطة إلى غاية دخول المرابطين سنة 469هـ، أما الجماعة البيضاء فقد طردوا من طرف السوننكي اتجهوا نحو التكرور واختلطوا مع السكان ولم تعد بيضاء مع مرور الزمن ذلك نتيجة البيئة والحرارة والاختلاط الناتج عن المصاهرة مع الزنوج، حيث استطاعت هذه الجماعة أن تستقر هناك وتقيم سلطة سياسية تحكم المنطقة، وهذه الجماعة التي

فولاني والهوسا يطلقون عليهم (الفلافا) والماند يطلقون عليهم (فولا) وهم يطلقون على أنفسهم (الفولاني) لمزيد ينظر، محمد عدنان مراد: نفسه، ص116.

[1] – الولوف: وهم يمثلون أكبر جماعة في السنغال إذ تستقطب أكثر من 40% من مجموع السكان، ولقد كان موطنهم الأصلي الشمال الغربي والغرب والوسط الغربي من البلاد وهم يتواجدون بكثرة في المراكز الحضارية وشتغل هؤلاء بالزراعة والتجارة ويحتفظون بأكثر الوظائف في القطاعين العام والخاص، وأكثر من 80% من الوظائف العليا في الجهازين الإداري والسياسي في الدولة لمزيد ينظر، عبد القادر سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحضارة وآفاق المستقبل، (ط1)، (د،د، ن)، (د،ب،ن)، 1406هـ، ص28.

[2] – إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص19.

[3] – كومبي صالح: وهي مدينة تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكتو، حيث تبعد بحوالي خمسمائة كلم، ولقد اتخدتها إمبراطورية غانة حاضرة لها، يرجع تأسيسها إلى عهد حكم البيضان الأولي، ويقال أن بناء هذه المدينة كان حوالي سنة 300م وظلت تنمو تدريجيا لمزيد ينظر،الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص27.

اشتهرت فيما بعد باسم الفونيين، حيث استمرت في حكمها لبلاد التكرور إلى غاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

هكذا وقد تمكنت الأسرة السوننكية أن توسع نفوذها وأن تحكم سيطرتها على مدينة "أودغشت" [1] وهي حاضرة قبيلة لمتونة، وكانت فيها حكومة ذات نفوذ من هذه القبيلة، وقد كان ذلك سنة 380هـ/990م، حيث وضع ملك غانة على أودغشت حاكما من السوننكي، إضافة إلى أنه في بعض الأحيان كان يقيم فيها حكام إمبراطورية غانة أي أنها أصبحت هذه الأخيرة تمثل المركز الثاني لحكامها[2] بقيت السوننكي يتولون الحكم في مملكة غانة حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادي باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمتها كومبي صالح من سنة 1076م-1087م وقد بلغت غانة خلال عهد هذه الأسرة ذروة قوتها، حيث اشتهرت بثرائها وأصبحت ذات نفوذ واسع، أما عن ملوك هذه الأسرة فلم يعرف منهم سوى خمسة أسماء وهي "بنتيجو وتكلان وبلوتان وبسى وتنكامين" ويعد الملك تنكامين ابن أخت بسى وقد كان هذا الأخير قد عاصر الرحالة الجغرافي أبو عبيد الله البكري(1094)، حيث تولي حكم غانة حوالي سنة (455 هـ/ 1063م)، وكان تحديدا قبل أن يتمكن المرابطون من السيطرة على غانة بقليل.

وأطلق على ملوكهم لقب " كينغ" والتي تغني ملك الذهب حيث ظل هذا اللقب يطلق على جميع ملوك غانة سواء كانوا من الحكام البيض الأولى، أو من حكام السوننك السود، وهو ما أكده محمود

[1] – أودغشت: وهي من أهم مدن السودان الغربي وقد ذكرها البكري فقال أنها مدينة تقع بين الزنوج ومدينة سجلماسة على بعد واحد وخمسين يوما من غانة، وتبعد أودغشت على القيروان مائة وعشر مراحل. أما عن أصل سكانها فهم مزيج من العرب المغاربة المسلمين ومن قبائل السوننكي والسلطة فيها للمتونة إحدى قبائل صنهاجة، ولقد وصفها الرحالة العرب أنها مدينة جميلة وعظيمة وبها خلق كثير لمزيد ينظر، الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م، (ط1)، دار الملتقى، بيروت، لبنان، 2001م، ص52.

[2] – نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: مالي، (ط2)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م،ص ص25-26.

كعت من أن سلطنة مالي لم يستقم أمرها إلا بعد انقراض دولة كينغ، وقد اتضح تاريخيا أن زوال إمبراطورية غانة قد كان في مطلع القرن الثالث على يد [1] الصوصو[2]

سقوط مملكة غانة

لقد ساهمت العديد من العوامل التي أدت في الأخير إلى انهيار إمبراطورية غانة ومنها العامل الطبيعي الذي بدأ قبل الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي، حيث تمثل في الجفاف التدريجي الذي حل بالبلاد الواقعة شمال حوض السنغال مما أجبر الناس على الهجرة.

أما العامل الثاني فقد تمثل في سيطرة المرابطين على الإمبراطورية [3] ثم خروجهم منها بسرعة وهو الذي سبب انحلال في الدولة، إذ أن كثيرا من القبائل، ومن المناطق التي كانت خاضعة لسلطة غانة لم تعد لهذه التبعية مرة أخرى وعلى هذا فقد كان فتح المرابطين لغانة سببا رئيسيا من أسباب تدهورها.

إضافة إلى ذلك فإن مقاطعة كانياجا التي كانت تسكنها قبائل الصوصو التي كانت تدفع الجزية لغانة، ففي أثناء فتح المرابطين لهذه الأخير أعلن هؤلاء استقلالهم بل استطاعت هذه المملكة أن تضم لها مقاطعة أخرى من المقاطعات التي كانت تابعة لغانة، وقد عرفت هذه المقاطعة ب "ديار" ثم راح ملوك الصوصو يحاولون الاستيلاء على العاصمة، حيث استطاع الملك سومانجورو أن يستولي على مدينة كومبي صالح سنة 1203م.

وغير بعيد عن مملكة الصوصو كانت هناك مملكة أخرى أخذت في النمو اسمها مملكة مالي كان أهلها جماعة من الماندنجو[1] وكان الإسلام قد انتشر بينهم وتطلعوا سبب إسلامهم أن يستعيدوا سلطان

---

[1] – إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص ص26–27.

[2] – الصوصو: SOSO –Susuوهم فرع من الفولانيين هؤلاء هاجروا من بلاد التكرور وكونو طبقة حاكمة في إقليم كانجابا التابع لمملكة غانة حيث بقوا على وثنيتهم ودفعوا الجزية لحكام غانة وبعد تدهور مملكة غانة أعلن ملك الصوصو سومانجور سنة 1203 م استقلاله عنها، وأخذ يهاجمها إلى أن سقطت غانة، إلا أن الصوصو اصطدموا بمملكة مالي النامية أنذاك، حيث انتصر ملك الصوصو وقتله سنة 1235م، وبعد هذا الانتصار استولى ملك بلاد الصوصو وشتت شملهم لمزيد ينظر، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 291

[3] – عبد الكامل عطية: دراسات في التاريخ والتراث، (دط)، (د–د–ن)، الجزائر، 2019م، ص ص52–53.

المرابطين في إمبراطورية غانة، وأن يطردوا منها ملوك الصوصو الوثنيين وقد كان يدعى سنديانا[2] ولم يضطرب بسبب السبق الذي أحرزه سومانجورو، بلى ذهب يصارعه صراعا عنيفا، حيث استطاع من خلاله أن يقضي عليه في موقعة كرينا، وأن يستولي على كومبي صالح، وان يتوغل في وسط بلاد الصوصو، وهكذا تمكن الماندنجو أن يقضوا نهائيا على إمبراطورية غانة، وأن يقيموا على أنقاضها مملكة جديدة والتي عرفت باسم إمبراطورية مالي الإسلامية[3]

2/- مملكة التكرور

ذكرت المصادر التاريخية أن التكرور مدينة تقع على ضفاف مايعرف اليوم بنهر السنغال، حيث أشار إليها البكري (ق5هـ) فقال "... ويلي مدينة صنغانة مابين الغرب والقبلة على النيل (نهر السنغال) مدينة تكرور أهلها سودان، وكانوا على ماكان سائر السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير... حتى وليهم ورجاي بن رابيس فأسلم ..." وتشير الدراسات أن مدينة تكرور كانت معروفة منذ القدم وذلك منذ حوالي القرن الثاني الهجري[4]

قيام المملكة :

---

[1] – الماندنجو: ويعد هؤلاء من أهم وأكبر المجموعات العرقية ذات الأصالة الزنجية بين الأطلسي وأعالي نهر النيجر وهم أيضا من مجموعة الشعوب المتجانسة المتعددة الفروع، وقد اشتهروا باستطالة الرأس والأنف العريض والشفاه الغليظة وقامتهم الطويلة ونحيلة بشكل نموذجي مع ملامح جميلة ولحية قصيرة، أما بخصوص لون البشرة فهم من الشعوب الأقل سوادا عن بقية الشعوب الزنجية الأخرى، ويحتل هؤلاء مكانة بارزة في السودان الغربي، أما عددهم فهم أكثر من أربعة ملايين نسمة وهم ينقسمون إلى عدة شعوب منها البمبارا المالكية والسوننكة وغيرها لمزيد ينظر، محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص113.

[2] – سنداياتاكيتا: هو ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسى كيتا المعروف بموسى الأكوري، وقد اشتهر سندياتا بلقب ماري جاطة، وقد أعطى ابن خلدون تفسيرا لماري جاطة فماري بمعنى الأمير في لغة الزنج وجاطة تعني الأسد والكلمتان الامير الأسد احتلت شخصيته مكانة بارزة في الرواية الشفوية فهو قاهر الصوصو ومحرر البلاد لمزيد ينظر، الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص52. وأحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230–1430م، (ط1)، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999م، ص180.

[3] – وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص295.

[4] – المختار ولد كاكية: مجمل تاريخ موريتانيا، (ط2) ، (ددن)، (دب ن)، 2007م،ص98.

قامت مملكة التكرور بعد تراجع نفوذ دولة المرابطين الصحراوية التي قامت في بلاد شنقيط، فبعد اضمحلال هذه الأخيرة في الصحراء تحديدا نهاية القرن 5هـ تمكنت مملكة التكرور من بسط نفوذها على مناطق واسعة من أراضي كدالة ولمتونة فأصبح صنهاجيو تلك النواحي ينضافون إليها استتارا منهم من الموحدين [1].

أما عن حدودها الجغرافية فيذكر الإدريسي (ق6هـ) حول مملكة مالي: "... وفي هذا الجزء الذي رسمناه من مدن أوليل وسلى وتكرور وبريس ودو وموره وهذه البلاد من أرض مقزارة السودان ..." .

من خلال ماذكره الإدريسي يتضح لنا أن كل المنطقة الواقعة مابين مدينة تكرور والمحيط كانت آنذاك تابعة لحكم سلطان التكرور[2].

لقد كانت أقرب مدن مملكة التكرور لمضارب كدالة مدينة صنغانة [3]، ثم مدينة التكرور الواقعة تقريبا بين الكوارب وكيهيدي بنواحي بوكي على ضفة النهر، ثم تليها مدينة سلى[4] ثم مدينة قليتو ثم مدينة بريسا في مالي، أما بالنسبة لسكانها فهم خليط من قبائل السرير[5] والسوننكي السودان وقبائل الليبو وغيرهم.

---

[1] – الحسين بن محنض: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، (ط1)، دار الفكر، موريتانيا، 1431هـ/2010م، ص09.

[2] – المختار ولد كاكية: المرجع السابق، ص110.

[3] – صنغانة: وهي مدينة تقع في أرض أكنون، وقد ذكرها أبو عبيد الله البكري فقال "... ومدينة صنغاية مدينتان على ضفتي النهر (المقصود نهر السنغال) وعمارتها متصلة إلى البحر المحيط " فمن خلال ما ذكره البكري يتضح لنا أن شقها الشمالي كان أرض شمانة الحالية بولاية الترارزة، بالإضافة لذلك فقد علق المؤرخ ولد حامد في" التاريخ السياسي" (31) بهامش أن كلمة صنغاية أًصلها من "سنغن" ثم حرفت سنغن إلى سنغال لمزيد ينظر، المختار ولد كاكية: نفسه، ص122.

[4] – سلى: مدينة تكلم عنها أبو عبيد الله البكري (ق5هـ) وعن إسلامها فقال عنها "... وتسير من مدينة التكرور إلى سلى، وهي مدينتان على شاطئ النيل أيضا وأهلها مسلمون أسلموا على يدي ورجابي رحمه الله، وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرة أيام في عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة، وملك سلى يحارب كفارهم وليس بينه وبين أهلهم إلا مسيرة يوما واحدا" لمزيد ينظر، المختار ولد كاكية: نفسه، ص 100.

[5] – قبائل السرير: وقد انتشرت هذه القبائل مابين نهري جامبيا، ونهر السنغال إلى الجنوب من الرأس الأخضر بالقرب من التكرور، بلى وأن السرير يشكلون جزء من مملكة التكرور مع قبائل الولوف غير أن هؤلاء يختلفون مع التكرور في أنهم يعتنقون المسيحية ولبس الإسلام، حتي أن أغلب قبائل السرير قد بقيت على وثنيتها حتي الفترة الحديثة لمزيد ينظر، عصمت عبد اللطيف دندش:

وتذكر المصادر التاريخية أن بلاد التكرور قد تولي زعماتها خلال القرن الثالث الهجري (9م) ملوك جاووكو هؤلاء الذين ملكوا منذ سنة 236هـ/850م. وهم من شعب السرير.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري خلفهم ملوك مانا هؤلاء الذين لم تشير المصادر التاريخية الكثير عن مملكتهم سواء تعلق الأمر بملوكها أو سياستها باستثناء بعض الروايات التي تذكر أنهم من أجناس التكرور البيضاء أو المختلطة، فملك التكرور ورجالي بن رابيس الذي ذكرته المراجع العربية الوسيطة أحد ملوكهم الأوائل، حيث يذكر اسمه بالبادئ بور وذلك بأسماء القبائل الصنهاجية البيضاء، ودليل ذلك أن كلمة ورهي لقب صنهاجي حيث كان الصنهاجيون يطلقونه على القادة[1].

أما عن دخول الإسلام إلى مدينة التكرور وما يحيط بها من المناطق في البدايات الأولي من القرن الخامس الهجري، حيث ذكر أن ابن حزم في الأندلس قد سمع بإسلامهم حوالي سنة 430هـ واستبشر به، وقد كانت البداية الأولي لإسلام أهل المنطقة على الراجح مع اعتناق ملكهم الإسلام، حيث وجدت أخباره عند البكري " ... حتى وليهم ورجالي بن رابيس، فأسلم وأقام عنهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها، وتوفي ورجالي سنة 432هـ فأهل تكرور اليوم مسلمون".[2]

وقد شهدت المملكة التكرورية اتساعا كبيرا خلال القرن السادس الهجري (12م)، حيث ازدهر التبادل التجاري الشمال الإفريقي مع التكرور، فنشأت العديد من الطرق التي تربط بين مختلف المدن منها:

- خط سجلماسة – ودان – التكرور
- خط نول – ودان – التكرور هذا الخط الذي كان له نوعان فالأول ساحلي حيث كان يمر بمحطة تيجربت والثاني يخترق أدار ويمر بودان.

المرجع السابق، ص45، إلهام محمد علي ذهبي: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الإستعمار ، (1850– 1914م)، (ط1)، دار المديح، الرياض، 1408هـ– 1988م، ص28.

[1] - **الحسين بن محنض:** المرجع السابق، ص 151.

[2] - **المختار ولد كاكية:** المرجع السابق، ص 105.

سقـوطهـا

في سنة 700هـ/1300م انهارت مملكة التكرور بعدما تعرضت لجملة من الإنكماشات التي أصابتها بسبب الهجمات التي تلقتها من قبل الصوصو ومالي[1] حيث تذكر روايات الجغرافيين العرب والمؤرخين أن الصوصو ومالي كانا سبب من أسباب سقوط المملكة، هذه الأخير التي كانت تسمي أيام سقوطها بمملكة مانا حسب بعض الروايات الشفوية [2].

3/- مملكة مالي الإسلامية:

تعتبر مملكة مالي الإسلامية من أهم وأقوى الإمبراطوريات التي قامت في غرب إفريقيا، وما يميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك إضافة إلى الدور البارز في نشر الإسلام والدعوة له في بلاد غرب إفريقيا.

أما عن تأسيس هذه المملكة فتعود إلى قبائل الماندنجو التي يرجع إليها الفضل في تكوينها، حيث سادت هذه القبائل لعدة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، أي في الوديان العليا لنهر السنغال، وامتدت نحو الجنوب إلى حوالي خط عرض 59 شمالا، ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله[3].

أما بخصوص تسمية مالي فقد أشار إليها الكثير من المؤرخين والجغرافيين منهم الجغرافي أبو عبيد الله البكري الذي أطلق عليها " ممل" وابن بطوطة عندما أورد قائلا " ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة وهو على نحو عشرة اميال من مالي"، أما السعدي فيعرفها "ملي" وكعت يطلق عليها "مل".

وقد عرفت مالي ببلاد التكرور حيث اشتهر ملكها باسم ملك التكرور وفي هذا الصدد يقول القلقشندي " مالي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور" .

---

[1] – الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 152.

[2] – المختار ولد كاكية: المرجع السابق، ص115.

[3] – مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلام في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية ، (ط1)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض، 1419هـ/1998م، ص193.

أما بالنسبة لحدودها الجغرافية فهي تشتمل على مساحة واسعة من الأرض، وهي تمتد شمالا إلى تخوم المغرب الأقصى وغربا إلى المحيط الأطلسي وشرقا إلى حدود بلاد برنو.

وقد أورد القلقشندي نقلا عن سعيد الدوكالي قائلا " إن هذه المملكة مربعة طولها أربعة عشرة أشهر أو تزيد وعرضها مثل ذلك وجميعها مسكونة إلا ما قل وهذه المملكة هي أعظم ممالك السودان المسلمين".

إضافة لهذا يرى زبادية أن مملكة مالي الإسلامية تشمل مالي الحالية وأعالي السنغال الشرقي وشمال كل من فولتا العليا والداهومي، والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا.

ومن خلال ما ذكر يتضح لنا أن مملكة مالي كانت مترامية الأطراف وبهذه المساحة الشاسعة [1]

- **نشأتـــها**

كانت هذه المملكة في بداية أمرها تتكون من مقاطعتين هما مقاطعة "دو" والثانية مقاطعة "كيري" ولقد تعاقب على حكمها أسرتان كبيرتان هما أسرة التروريين ومؤسس هذه الأسرة "منسا نوفن تارورا" حيث كان هذا الملك قد اعتنق الإسلام، أما بالنسبة للأسرة الثانية هي الكوناتيين وأشهر حكامها " جور ماند كوناتي المحرف" ويعد هذا الملك أول من أسلم من هذه الأسرة ثم جاءت بعد الأسرتين السابقتين أسرة أخرى عريقة عرفت بأسرة كيتا (1200- 1484م) وهي التي تمكنت من توحيد هاتين المقاطعتين في مملكة واحدة هي مملكة الماندنجو أو مملكة مالي هذه الأخيرة التي كانت في البداية تابعة لمملكة غانة التي كانت تسيطر [2] وعندما انهارت مملكة غانة أمام هجمات الصوصو الوثنيين تصدى لهم شعب الماندنجو بقيادة زعمائها للوقوف في وجوههم، فتمكنوا من الانتصار عليهم بقيادة الزعيم "سندياتاكيتا [3] في معركة كيرينا التي قامت عام 1235م [1]والقضاء على شوكة الصوصو

---

[1] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص ص49-50.

[2] – حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري: السياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية (597-886هـ/1200-1484م)، (ط1)، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2012م، ص36.

[3] – سندياتاكيتا : هو ابن ناري فامغان بن موسى كيتا المعروف بموسى الأكوري وهو يعد المؤسس الحقيقي لمملكة مالي الإسلامية، وقد اشتهر هذا الاخير بلقب ماري جاطة حيث أعطى ابن خلدون تفسيرا لهذا اللقب فقد ذكر ان الكلمتان تعنيان الأمير الأسد لمزيد ينظر، الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص52.

وأن يحرر المنطقة من العبودية، وقد تمكن بعدها من فتح المدينة وما حولها، ثم مد فتوحاته شمالا حتى بلغ غانة واستولي عليها عام 1240م [2] ثم قام بنشر قواته على الساحل الأطلسي إلى كانو[3] وكاتسينا وزارية في الشرق، وإلى أدغال الجنوب، ثم توغلت قواته في الصحراء شمالا، فحقق هيبة بلاده في الداخل والخارج.

إضافة لهذا فقد اهتم أيضا بالنظم الإدارية والزراعية في دولته التي تملك مناجم الذهب في وانجار التي حاول إدخال أهلها في الإسلام فأبوا وأوقفوا العمل في وثنيتهم في الاستخراج وبعد حكم دام 25 سنة توفي سندياتاكيتا تحديدا سنة 1255م[4] وعند وفاته كانت مملكة مالي الإسلامية قد اتسعت في حدودها إلى بلاد الولوف غربا عند المحيط الأطلسي، وإلى أواسط النيجر شرقا، ومن فوتا جالون إلى كومبي صالح عاصمة مملكة غانة سابقا شمالا وقد تولى حكم مالي بعد وفاة (ماري جاطة) ابنه الكبير الذي يدعى منسى علي[5] حيث كان من أعظم حكام بلاده محبا للسلام معروفا بالتقوى والصلاح وبعد أن ذاع صيته وأحكم سيطرته على البلاد قام بأداء فريضة الحج سنة 653هـ/1260م، وفي عهده بسطت مالي نفوذها على دولة سنغاي الناشئة وأخذت منها عددا من الرهائن لضمان خضوعها واستسلامها.

وبعد وفاته تعرضت البلاد لفترة من الاضطرابات حيث تولى خلالها عدد من الملوك كان أشهرهم ساكورة وقد تولى عرش مملكة مالي (684-700هـ/1285-1300م) وكان موالي الأسرة الحاكمة ورغم أنه اغتصب العرش في فترة اضطراب المملكة، إلا أنه قام بدور كبير في توسيع المملكة، حيث

---

[1] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص16.

[2] – عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، (ط1)، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998م، ص262.

[3] – كانو: وتعتبر من أشهر مدن بلاد الهوسا القديمة والحديثة وأغناها وأوسعها وأرقاها، ويرجع تاريخها إلى عهد بعيد مختلف فيه، كان سكانها يعتمدون على تربية الأغنام والأبقار ألى جانب زراعة الأرض، وكان لملكها نفوذ كبير مكنه من إخضاع مملكة كاتسنا، إلا أن الأسقيا الحاج محمد استطاع أن يخضعه لحكمه. لمزيد ينظر، آدم عبدالله الألوري: تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دس ن)، ص80.

[4] – حمدي عبده سلامة موسى: إفريقيا قارة الإسلام، (ط1)، (ددن)، مصر 2012م ص182.

[5] – نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر : المرجع السابق، ص39.

شهدت فترة حكمه تطورا كبيرا في كل أنحاء المملكة فاستطاع إحكام سيطرته على الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث بلاد كوكو[1] .

ومما يدل على قوة وشجاعة هذا الملك هو ما أشار إليه ابن خلدون للتوسعات التي شهدتها مملكة مالي أثناء عهده بقوله "... وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم، وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم، وافتتح بلاد كوكو، واصارها في مملكة أهل مالي واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في المشرق، وعز سلطانهم وهابتهم أمم السودان، وأرتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وإفريقيا"

وقد قام ساكورة بأداء فريضة الحج سنة 700هـ/1300م وعند عودته من الحج قتل على أيدي قبيلة الدنافل[2] بتاجوراء[3].

وبعد وفاته رجع حكم إمبراطورية مالي إلى أسرة كيتا، حيث تولى أمور البلاد الملك منسا موسى والذي يعد من أقوى وأشهر ملوك المملكة وقد تولى الحكم (1312-1337م)[4] وتلقب هذا الملك بعدة ألقاب منها كنكن موسى أو كانكور موسى وجوغو وغيرها حيث تدل هذه الألقاب على شهرته وحب شعبه له إضافة إلى هذه فقد وصفه المؤرخ ابن خلدون بقوله " وكان رجلا صالحا وملكا عظيما له في العدل أخبار تؤثر"، لقد استطاع هذا الملك أن يعيد إلى هذه البلاد أمنها واستقرارها حيث تمكن من القضاء على الفتن الداخلية[5].

---

[1] – نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص53.

[2] – الدنافل: وهؤلاء هم قوم نحاف بنوع خاص حيث تميزو بقامة يبلغ طولها 64بوصة، ولغتهم تقترب من لغة الصومال، ويسكنون شمالي الصومال والجلا، ويحد بلادهم البحر ومن الشرق والحافة الشرقية لهضبة الحبشة من الغرب ويعتنق الدنافل الإسلام، لمزيد ينظر، حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري: المرجع السابق، ص70.

[3] – نفسه، 70.

[4] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص56.

[5] – حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري: المرجع السابق، ص71.

ولقد أدى الملك منسى موسى فريضة الحج حيث دلت رحلته عبر مصر على الثراء العظيم لمالي فقد رافق السلطان حشد هائل من العلماء والوزراء والأتباع قدره بعض المؤرخين بقافلة هائلة قوامها 12 ألف رجل، وكان منسى موسى قد سلك إلى الحجاز عبر مصر طريق ولاته وتوات ورجا ورجلة وسرت وبرقة ثم الطريق الساحلي نحو القاهرة وعندها استقبله السلطان المصري المملوكي الناصر محمد بن المنصور قلاوون[1] وانزله قصرا عند القرافة الكبرى، مكث السلطان في مصر وعندما حان موعد الحج ذهب إلى الأراضي المقدسة وأدى فريضة الحج، وتصدق بملغ قدر بحوالي عشرون ألف من الذهب، بالإضافة إلى هذا فقد رافقه في رحلة العودة أربعة من الموالي والمهندس أبو إسحاق الساحلي هذا الأخير الذي فرض خدماته المعمارية على الملك منسى موسى، وقد سلك سلطان إمبراطورية مالي طريق العودة غير الأراضي الليبية حيث مر على مدينة غدامس[2] أين اصطحب معه المهندس الليبي عبد الله الكومي الموحد الغدامسي هذا المهندس الذي طور بناء جامعة سنكري وقصره رفقة المهندس أبو إسحاق الساحلي.

بلغت إمبراطورية مالي في عهده أوج مجدها وقوتها وذلك باستيلاء قوات الملك منسى موسى على حاضرة سنغاي ، جاو[3] وتمبكتو التي كانت تمثل عمقا حضاريا متميزا.

وبعد وفاة الملك منسى موسى بدأ الضعف يدب في أوصال المملكة، وخلفه أخوه المنسى سليمان والذي عرف بالتقوى والصلاح والتفقه في الدين تولي حكم البلاد من 1341 إلى 1359 حيث استطاع

---

[1] – حمدي عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص 173.

[2] – غدامس: تقع في مدينة طرابلس إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس وهي تبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كيلومتر ولتاريخ مدينة غدامس تاريخ موغل في القدم يرجع إلى عصور تاريخية قديمة وقد كانت مركزا تجاريا حيث قال عنها الحسن الوزان بأنها منطقة كبيرة مسكونة بها قصور وقرى مأهولة بالسكان أهلها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال كثيرة نظرا لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان لمزيد ينظر، عبد الحميد عبد الله الهرامة: المرجع السابق، ص ص 51–52.

[3] – جاو: وهي مدينة تقع اليوم إلى الشمال الشرقي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي، حيث مثلت هذه المدينة الدور السياسي كعاصمة لإمبراطورية سنغاي الإسلامية، كما مثلت أيضا أحد المراكز التجارية للسودان الغربي وقد نمت هذه الأخيرة سريعا ولذلك لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى المتجهة نحو حوض نهر النيجر وهذا وقد مكنها موقعها الإستراتيجي أيضا على منحى نهر النيجر نحو الجنوب بإشرافها على التجارة على امتداد نهر النيجر نحو الجنوب والغرب، لمزيد ينظر، الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص309.

خلالها أن يعيد معظم المناطق التي خرجت عن تبعية مالي، كما تمكن من بناء عدة مساجد ومنارات وجلب الفقهاء من خارج البلاد، وبعدما تمكن من توطيد أركان بلاده قام بأداء فريضة الحج سنة 752هـ/1351م.

وبعد وفاة منسى سليمان والذي دامت فترة حكمه مدة أربعة عشرة سنة تولي الحكم من بعده ابنه (قنبتا) والذي لم تدم فترة حكمه سوى تسعة أشهر، حيث توفي بعدها، ثم خلفه ماري جاطة الثاني بن (مغان الأول 1360-1374 م حيث كان هذا الأخير سئ السيرة مبذرا أتلف ما في خزائن الدولة وعلى الرغم من هذا إلا أنه عرف بحسن صلاته مع سلاطين المغرب ومصر[1] .

تولى من بعده ابنه موسى الثاني حيث عمل على تحسين إدارة البلاد، وتجاوز في حربه "تخوم كوكو" حسب ما أشار إليه ابن خلدون وبعد وفاته ولي أمر مملكة مالي أخوه منسى مغا (الثاني) ولم يدم طويلا حيث قتل بعد نحو سنة من توليه الحكم (1388-1390) ثم حكم بعده صندكي (وتعني هذه الكلمة حسب ما يذكره ابن خلدون الوزير)[2].

ولقد تميزت فترة حكمه بحدوث فتن واضطرابات كثيرة استغلها أحد أفراد الأسرة واسمه (محمود) فأخذ حكم البلاد [3] وهي في قمة الفوضى والانحدار، وعلى الرغم من قلة المعلومات عن ملوك مالي إلا أنه جاء من بعده ثلاث ملوك ضعاف لم يكن لهم دور يذكر في التاريخ[4].

وفي ظل هذه الأوضاع دخلت مملكة مالي مرحلة الانحطاط حيث اضطربت أحوالها وتفكك جيشها وأصبح أداة فوضى ومن هنا أعلنت العديد من الدول والإمارات انفصالها عن المملكة حيث

---

[1] – نافذ أيوب بيلتو وآخرون: المرجع السابق، ص41.

[2] – نبيلة حسن محمد: تاريخ إفريقيا الإسلامية انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتي القرن التاسع الهجري، (دط)، دار المعرفة الجامعية، (دب ن)، 2007م، ص250.

[3] – نافذ أيوب بيلتو وآخرون: المرجع السابق، ص41.

[4] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص65.

تمزقت أوصالها وتعرضت لعدة ضربات من كل جهة ففي الشمال شن الطوارق[1] حركة استقلالية واسعة شملت ولاتة وتمبكتو ومعظم الأقاليم الشمالية وفي الجنوب الغربي وجه التوكولور والولوف هجمات قوية إلى الدولة واستقلوا بأجزاء منها، أما ناحية الجنوب فقد ضمت قبائل الموشي [2] جزءا كبيرا منها، أما بالنسبة لجهة الشرق فقد تعرضت البلاد لهجمات دولتي سنغاي وكانم والتي كانت من أكبر الهجمات التي وجهت لمملكة مالي من طرف دولة سنغاي التي تمكنت من الانفصال عنها بعد أن كانت خاضعة لها، ومن هنا زادت قوة سنغاي وهو ما جعلها تثأر لكبريائها وتمد نفوذها إليها بعدما كانت صاحبة النفوذ فيها وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر كان جلال مالي قد آذن بالزوال حيث لم يبقي لحكامها إلا الإمارة الضئيلة التي نشؤو فيها[3]

4/- مملكة سنغاي الإسلامية:

تعد مملكة سنغاي واحدة من أهم وأقدم الممالك الإسلامية التي شهدها غرب إفريقيا، وكانت هذه الأخيرة قد عاصرت إمبراطورية غانة وإمبراطورية مالي الإسلامية، وسقطت غانة ومالي وبقيت سنغاي حتى سنة 1594م[4].

- **تأسيسها:**

يرى توماس دولافوس (Delafosse) أن البدايات الأولي لتأسيس مملكة سنغاي الإسلامية تعود إلى القرن السابع الميلادي، حيث قدر لهذه الدولة فيما بعد أن تمارس السلطة على الجزء الأكبر من بلاد السودان الغربي[1]

---

[1] – الطوارق: ويعرف هؤلاء بالملثمون لوضعهم اللثام على وجوههم وقد سكنوا الأرض الممتدة من (فزان) في ليبيا إلى نيجيريا، ومن (غدامس) في ليبيا إلى (توات) جنوبي مدار السرطان إلى غربي (تمبكتو) في مالي وهم عدة مجموعات من العشائر منها المجموعة الشمالية ويعيشون في الصحراء ويربون الأغنام والجمال، والمجموعة الثانية ويعيشون في الهضاب وأرض السافان ويربون الأبقار، ولقد لعب هؤلاء دور كبير في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي لمزيد ينظر، نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر : المرجع السابق، ص ص 69-70.

[2] مهدى رزق الله احمد : المرجع السابق ص :208

[3] – مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 208.

[4] – أحمد شلبي: المرجع السابق، ص121.

كانت قبائل السنغاي التي تعيش على شاطئ نهر النيجر قد انقسمت إلى قسمين، حيث اشتغل القسم الأول بالزراعة فاستقروا بالأرض، أما القسم الثاني كان يشتغل بصيد السمك وقد كان هؤلاء ينتقلون من مكان إلى آخر على طول منحى نهر النيجر، وقد كان يطلق عليهم (سُرْكو Sorko) .

وكان الصيادون دابو على العدوان على الفلاحين وربما ذلك كان استنكارا لجنوح إخوانهم للفلاحة، هذا وقد اعتاد هؤلاء الصيادون أن يجمعو قواربهم وأن يقوموا بمهاجمة قرى الفلاحين وأن يخطفوا منهم أمتعتهم إضافة لهذا فقد كانوا يقومون بقتل كل من اعترضهم.

وفي حولي سنة 300م تجمعت قرى الفلاحين في شكل تكتل واحد واتخذوا لهم ملوك منهم بهدف التغلب على الصيادين لكنهم لم يستطيعوا أن يضمنوا لرعاياهم كل الحماية.

وفي سنة 700م هاجرت قبائل لمطة البربرية إلى المناطق التي يقطنها الفلاحين من قبائل السنغاي وكان قائدهم يدعى زا اليمن حيث تمكن هذا الأخير أن يهاجم الصيادين واستطاع طردهم بعيدا إلى الشمال.

وفي ظل هذه الظروف فرح هؤلاء الفلاحين بهذا البطل وجعلوه قائدا عليهم وبهذا أصبح هذا الرجل أول ملك من أسرة كثر ملوكها[2].

يعد عبد الرحمان السعدي من أبرز المصادر التاريخية التي تحدثت عن بداية تاريخ مملكة سنغاي الإسلامية غير أنه لم يتحدث عن بداية حكم الملك زا الأيمن في كوكيا، ولا عن اسمه الحقيقي حيث يذكر " ولا نعلم من ابتدأ منهم، ولا تاريخا لخروجه من اليمن ولا لوصوله إليهم، ولا اسمه، وبقي اللفظ (أي لقب زا– اليمن) علما له وصار لقبا لكل من تولي بعده من الملوك " غير أنه إلى علمنا أن مدينة "كوكو" أو " جاو" التي تأسست قبل مجئ زا الأيمن إلى كوكيا

---

[1] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص255.

[2]– أحمد شلبي: المرجع السابق، ص ص :121–122.

كانت موجودة في عهد اليعقوبي الذي ألف كتابه سنة 258هـ/852م ذكرها بأنها من أعظم ممالك السودان الغربي[1]

كل هذا يدلنا بأن تأسيس مملكة سنغاي بكوكيا من طرف الملك زا الأيمن كان تحديدا قبل القرن 3هـ/9م. وقد عرفت مملكة سنغاي الإسلامية بين القرنين 3هو5هـ بروز حكام أقوياء حافظوا على قوة وازدهار هذه الدولة وساهموا في تدعيم ذلك الدور الذي أحيط بمملكتهم، حيث ذكر السعدي في كتابه ثلاثين ملكا تولي الحكم بالمملكة وكلهم ينتمون إلى نفس العائلة التي يرجع لها الفضل إمارة سنغاي الأولي بكوكيا ألا وهي عائلة زا الأيمن حيث يبدأ اسمهم بحرف "الزاي" من الملك زا الأيمن إلى الملك " زابدا" الذي يعد آخر ملوك العائلة وقد ساد منهم أربعة عشر ملكا كلهم قبل الإسلام[2] .

وحسب ما أشار إليه السعدي فإن اول من أسلم منهم هم الملك زاكوسي ZA–Kosi وذلك سنة 1009م، ولقد استهل حكمه بنقل عاصمته من كوكيا إلى جاو على ثنية العليا لكونها تتوسط أراضي سنغاي.

وبإسلام الملك زاكوسي أسلمت الأسرة الحاكمة وأثبت عبد الرحمان السعدي جميع أسمائهم، وإن بقي الشعب على وثنيته[3].

هكذا وقد خلفه آخرون حتى جاء سني الأول علي كولن وبه برزت أسرة جديدة الحكم على مسرح الأحداث وهي أسرة السني التي يرجع له الفضل في تأسيسها خلال القرن الخامس عشر [4]

[1] – نور الدين شعباني: محاضرات، ص63.

[2] – نفسه، ص67.

[3] – حمدي عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص176.

[4]– عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، (ط1)، دار الكتب الوطنية بنغازي، 1988م، ص302.

مملكة سنغاي في فترة حكم سني علي (869-898هـ/ 1464-1492م)

يعد سني علي [1] من أشهر ملوك المرحلة الأولي من تاريخ مملكة سنغاي الإسلامية والذي تولي الحكم بها تحديدا سنة 1464م حيث أول عمل قام به هو التخلص من خصومه، ثم اتجه بعدها نحو تكوين البلاد والصعود بها إلى أصناف الإمبراطوريات العظمي والمترامية الأطراف وتحويلها من دولة صغيرة خاضعة تحت سيطرة الآخرين إلى مملكة كبيرة قائمة بذاتها[2].

على الرغم مما أشارت إليه العديد من المصادر المحلية حول قوة الحاكم إلا أنه وصف بأنه كان ظالما مستهينا بالرعية وفي هذا الصدد يقول عنه عبد الرحمان السعدي " أما الظالم الأكبر والفاجر سني علي ... فإنه كان ذا قوة عظيمة و جسمية ظالما، فاسقا، متعديا، متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى [3]

وفي مقابل ذلك فقد مدحه عدد من المؤرخين من بينهم الحسن الوزان الذي وصفه قائلا " سني علي كان رجلا عظيما".

وبمجرد توليه مقاليد الحكم أخذ على عاتقه توطيد دعائم بلاده، حيث قام بتكوين جيش قوي مكون من مختلف شرائح المجتمع السوداني[4]، وقد خاض عدة حروب بهدف توسيع رقعة

---

[1] – سني علي: وهو سني علي بن سليمان دام ، وهو ينسب إلى عائلة ضياء التي قدمت من طرابلس الغرب واستقرت في تلك الأماكن نشأ هذا الأخير في كنف أخواله في منطقة قاره، كان لعلي شخصية مستقلة منذ نعومة أظافره حيث تعلم الفروسية، وفنون الحرب، فظهرت شخصيته القيادية منذ صباه وتفوق على أقرانه، وفي سنة 869هـ/1464م تولي مقاليد الحكم بمملكة سنغاي الإسلامية حيث مكث فيها 27 سنة فاتحا للأمصار إلى أن تمكن من تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف من موريتانيا إلى نيجيريا الحالية لمزيد ينظر، عبد الحميد عبد اللع الهرامة، المرجع السابق، ص61.

[2] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص99.

[3] – إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص ص 75-76.

[4] – الهادي مبروك الدالي: المرجع السابق، ص 100.

المملكة من بينها الحرب ضد الطوارق، وفي سنة 1468م استعاد تمبكتو إذ صار إليها باتجاه الجنوب عبر النهر بالقوارب على الضفة اليسرى إذ تكر بعض الروايات التاريخية أن زعماء هذه المدينة وعلمائها قد تركوها وأسرعوا بالهروب عبر الصحراء ولم يفك حصارها في سنة 1486م.

أما بخصوص سياسته في الحكم فعلى غرار مملكة مالي الإسلامية فقد عمل على تأسيس عددا من الأقاليم، وأسند زعامتها إلى ملوك يحملون لقب " قاري تارسا"، كما عين قاضيا على تمبكتو هكذا وقد أصبحت سنغاي دولة مركزية تشرف على جميع الأقاليم المجاورة، كما نهض في عهده الاقتصاد حيث قام بتشجيع الزراعة وبنى بعض السدود بوادي النهر[1].

وفي سنة 1492م توفي سني علي في إحدى غزواته، فخلفه من بعده ابنه أبو بكر إلا أن حكمه لم يدم طويلا فسرعان ما ثار عليه قواد أبيه ولم يدافع العلماء على بقائه في الحكم حيث كان رجلا ضعيفا وفاشلا فرأى وزير والده ويدعي محمد أبو بكر أن الوقت قد حان لتوليه الحكم، فثار على أبو بكر وفي سنة 1493م وصل إلى الحكم، ويذكر عبد الرحمان السعدي أنه لما بلغ الخبر بنات سني علي قالت إحداهن أسكيا وتعني في كلامهم " لا يكون إياه" وعندما سمعه أمر أن يلقب بهذا الاسم وأصبح يعرف باسم الأسكيا محمد، ومنذ ذلك الحين أصبح لقب أسكيا لقب ملوك مملكة سنغاي الإسلامية إلى أن سقطت[2].

مملكة سنغاي في عهد الأسكيا محمد الكبير (1493-1528م)

ويعد رأس أسرة الأساكي الجديدة التي وصلت إلى بعد سقوط أسرة السني التي استمر حكمها حوالي تسعة قرون.

---

[1] - **عطية علي مخزوم الفيتوري:** المرجع السابق، ص ص 303-304.

[2]- **محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية:** المسلون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة، (ط1)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 2007م،ص116.

بلغت مملكة سنغاي في عهد أسرة الأسكيا عصرها الذهبي حيث قام الأسكيا محمد الكبير بتحويل دولته من النظم القبلية إلى نظم الدولة، وعمل على إقامة جهاز إداري عصري، كما قام أيضا بتكوين جيش نظامي واهتم بالدعوة الإسلامية.

هكذا وعلى عادة كبار ملوك السودان الغربي فقد قام هذا الأخير بأداء فريضة الحج حيث خرج في قافلة ضخمة سنة 1495م صحبة المؤرخ محمود كعت، هذا وقد تعرف خلال رحلته على الإمام السيوطي في مصر أثناء مروره بها، وفي سنة 1597م عاد من الحج.

وقد شهدت تمبكتو في عهده بروز عدة علماء منهم الشيخ محمد المغيلي[1] كما تعددت مراكز الدعوة الإسلامية فيها وكثرت المعاهد الدينية التي كانت من أشهرها معهد سنكوري.

إضافة لهذا فقد قام الأسكيا محمد بتزويد مدينة جني وغاو بالعديد من المعاهد الدينية فوفد عليها الكثير من العلماء من كل مكان، فازدهرت بذلك مدينة تمبكتو بتجارة الكتب، وخلال سنة 1498م وبعد عودته من الحج قاد هذا الأخير حملة عسكرية كان يهدف من خلالها إلى توسيع ملكه [2] فأعلن الجهاد على قبائل الموشي[3] الزنجية الوثنية وطلب من ملوكها الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، ولما رفضت هذه القبائل طلبه أعلن عليهم جهاده وانتصر عليهم فتوسعت بذلك

---

[1] – محمد المغيلي: هو محمد (أبو عبد الله) بن عبد الكريم بن محمد المغيلي ولد بالقرب من تلمسان بمواطن قبيلة مغيلة البربرية بالغرب الجزائري، أما عن تاريخ ميلاده فقد اختلف المؤرخين في تحديده غير أن أغلب الروايات تذكر أنه ولد سنة 820هـ /1417م، نشأ الإمام المغيلي بين كنف عائلته التي اشتهرت بالعلم والتقوى فحفظ القرآن الكريم منذ صغره على يد شيخ قبيلة مغيلة محمد بن أحمد بن عيسي المغيلي، كما أخذ عنه أيضا مبادئ الفقه لمزيد ينظر، محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: الفرقد النائر في تراجم علماء ادرار، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2016، ص ص :357-358

[2] – حمدي عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص ص 178-179.

[3] – قبائل الموشي: وهي من الشعوب الوثنية في السودان الغربي، ويذكر عبد الرحمان السعدي أن هذه القبائل أقامت مملكة وثنية قوية في منحني نهر النيجر، وجاورت الممالك الإسلامية في المنطقة منها مالي وسنغاي، ولقد استمرت هذه الأخيرة على وثنيتها حتى جاهدها الأسكيا، محمد ملك سنغاي في بداية القرن 10هـ/16م، حيث لم ينتشر الإسلام فيها إلا بعد نهاية هذا القرن وكان ذلك على يد التجار وبنسب قليلة لمزيد ينظر، فرح سعد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2015-2016، ص29.

المملكة في الغرب حيث وصلت حتي سواحل المحيط الأطلسي وإلى الصحراء في الشمال وإلى بحيرة تشاد في الشرق بعد أن تمكن من ضم إمارات الهوسا.

أما بالنسبة للجانب الاقتصادي فقد نفذ الأسكيا محمد الكبير عدة مشاريع حيث عمل على حفر القنوات على ضفاف نهر النيجر بهدف زيادة مساحة الأراضي المزروعة، وأوجد الأوزان والمكاييل الموحدة، إضافة لهذا فقد قام الأسقيا محمد بإنشاء أسطولا صغيرا من سفن التموين، كما أنشأ نشاط تجاري كبير فتمتعت البلاد خلالها برخاء عظيم مما جذب إليها الكثير من تجار طرابلس الغرب و فاس وغيرها[1].

وعموما فقد شهدت مملكة سنغاي في عهده أوج قوتها وازدهارها، حيث أصبحت حينها أكبر إمبراطورية في غربي إفريقيا على الإطلاق، وفي سنة 1517م كان الأسقيا محمد قد بلغ به الكبر فتوقفت فتوحاته، وبدأ التنافس بين أبنائه ولم يعهد بالولاية لأحد منهم عند وفاته وقد كان ابنه موسى يسعى للوصول إلى الحكم بقوة مع جماعة من أنصاره فأجبر أخاه على التنازل على الحكم لصالحه سنة 1528م وكان أخاه قد بادله العداء فقضى فترة حكمه في نزاع مستمر مع أفراد عائلته فلم يتمكن حينها من انجاز أي عمل يستحق الذكر لصالح المملكة، هكذا ولم يستمر طويلا في الحكم حتى قتل، فخلفه الأسقيا محمد الثاني[2].

- **الأسقيا محمد الثاني (1531-1537م)**

تولي الحكم سنة 1531م، حيث تمت بيعته في مدينة منصور في إقليم جني بعد وفاة الأسقيا موسى مباشرة استطاع أن يقضى طيلة حكمه في هدوء نسبي بعد أن تغلب على كل الصعاب التي أثارها أخوه ضده.

[1] – محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص12.

[2] – عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص309.

وبعد وفاته خلفه الأسيقا إسماعيل (1537–1539م) الذي لم يتجاوز حكمه مدة عامين قام خلالها بتوجيه حملة كبيرة ضد أحد الأمراء الوثنيين في الجنوب الغربي من المملكة فسبى أثناء ذلك عدد كبير من أعدائه، وفي أواخر أيام عهده حدث طاعون فتك بخلق كبير فتوفي الأسيقا إسماعيل أثناء قيامه بهذه الحملة وهو يقاتل الوثنيين.

وبعد وفاته تولى بعده الأسقيا إسحاق الأول (1539–1549)[1] حيث تم تنصيبه على يد الجيش الذي أدرك خطورته فقام باستبدال قادة الجيش تدريجيا واستبدلهم بقادة يخضعون له، وقد كان هذا الأخير قد عرف بالهيئة والصلاح[2] وفي عهده ساءت العلاقة بين ملوك سنغاي وملوك المغرب، ثم جاء إلى الحكم من بعده الأسقيا داوود[3].

- **الأسقيا داوود (1549-1582م)**

دامت فترة حكمه 34 سنة وهو يعد من أشهر ملوك الأسقيين، حيث بدأ حكمه بتبديل موظفيه الساميين وقام بتنصيب مسؤولين جدد في الوظائف العليا للدولة وفي سنة 1549م قام بالهجوم على قبائل الموشي الوثنية وفي سنة 1550م شن هجوم آخر على شعب ماسينا[4] وهزمهم.

عموما ففي عهده بلغت المملكة ذروتها من التقدم حيث حققت نهضة اقتصادية وفكرية كبيرة فازدهرت بذلك الزراعة، كما انتعشت المدن التجارية الكبرى فسمي عهده بعهد القوافل التجارية للصحراء.

---

[1] – **عبد القادر زبادية:** سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع، ص42.

[2] – **الهادي مبروك الدالي:** التاريخ السياسي، المرجع السابق،ص178.

[3] – **نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر:** المرجع السابق، ص48.

[4] – **ماسينا:** تقع في الشمال الغربي لبلاد السودان الغربي تحديدا في جمهورية مالي حاليا في منعطف نهار النيجر أما معني ماسينا فقد اشتقت من كلمة " موسيني" مويتي والتي تعني باللغة الفولانية (أرضعت) فقد أطلقت على منطقة رعي المواشي توحي هذه الخصلة أي تربية الماشية التي طبع عليها أبناء قبيلة الفولاني سكان المنطقة أي يكون إطلاق التسمية علي البلاد قد جاء توظيفا لنعمة خصوبة أراضيها لمزيد ينظر، **عثمان برايمايارى:** جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، (ط1)، دار الأمين ، القاهرة، 421هـ/2000م، ص157.

لكن وعلى الرغم من ذلك فقد اندلعت في عهده أزمة مناجم الملح بتغازة[1] مع الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، هذه الأزمة التي انتهت بالاحتلال المغربي لهذه المناجم[2].

وخلفه من بعده الأسقيا محمد الثالث (الحاج الثاني) (1582- 1586م) هو ابن الأسقيا داوود وفي عهده كانت المملكة قد عمها البؤس واتضح سيرها نحو الهاوية أمام الجميع، وبعد وفاته خلفه الأسقيا محمد باني (الطيب) 1586–1588م، حيث بدأ هذا الأخير عهده القصير بقتل عدد من إخوانه الذين كان يشك في إخلاصهم له، وفي سنة 1588 توفي هذا الأخير ليخلفه في الحكم الأسقيا إسحاق الثاني (1588–1592م) وهي في غاية ضعفها وانحطاطها.

فبعدما تولى الحكم ثارت عليه تمبكتو حيث قضى سنة كاملة في محاربة هذا الثائر وأتباعه، وما إن انتهى من ذلك حتى دخل في معركة النهاية مع مولاي أحمد المنصور الذهبي [3].

وهكذا سقطت مملكة سنغاي الإسلامية التي كانت تعد من أعظم الإمبراطوريات التي ظهرت في السودان الغربي على يد المغاربة الذين قضو عليها بكل سهولة بعدما تضافرت العديد من العوامل التي أدت إلى سقوطها سنة 1591م، ليبدأ بذلك عهد جديد لعناصر جدد في المنطقة[4].

- **سقوط مملكة سنغاي**

في الوقت الذي أصبحت فيه مساحة سنغاي الإسلامية تتسع بشكل مذهل وأضحت في حاجة ماسة إلى حكومة قوية وملوك أقوياء وأشداء تولى مقاليد الحكم ملوك ضعاف انصرفوا عن شؤون الحكم وانغمسوا في الترف واللهو والمجون واستهتروا بالقيم الروحية والتقاليد الاجتماعية

---

[1] – **تغارة:** هو اسم يطلق على منجم مشهور بمعدن الملح موقعها بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، وقد ذاع اسمها لقلة توفر الملح عند الزنوج وارتفاع ثمنه حتى أنه كان يبادل بمثل وزنه ذهبا، وقد ذكرها الرحالة العرب من بينهم ابن بطوطة " فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما من سجلماسة إلى تغارى ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال، ولا شجر فيها إنما هي رمل فيه ملح..." لمزيد ينظر، ك. مادهوبانيكار: الوثنية والإسلام ، تر أحمد فؤاد بليع، (ط1)،المجلس الأعلى للثقافة، (د ب ن)، (د س ن)، ج2، ص100.

[2] - نور الدين شعباني: محاضرات، المرجع السابق، ص75.

[3] - عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[4] - عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص22.

فبدأت المملكة تشهد حالة من الضعف في أركانها وبدأت الصراعات بين الأمراء على الحكم، فنتج عنها كثرة الفتن والاضطرابات الأمر الذي أدى إلى إنهاك خزينة الدولة، ناهيك عن الفساد الذي انتشر في كامل البلاد حتى أن عبد الرحمان السعدي قال " ولما فسد أمر سنغي وشتت الله شملهم وحاق بهم ماكانو به يستهزئون بتضييع حقوق الله وظلم العباد والتكبر وشموخ الألف وكان بلد كاغ في أيام إسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات .... حتى اتخذوا لزناة رئيسا ووضعوا له طبلا ويتحاكون فيها وغير ذلك مما يعيب به ذاكر والمحدث به ذو المروءات فإن لله وإنا إليه راجعون"[1] لإضافة لذلك أن ثروات بلاد السودان الغربي وفي مقدمتها الذهب كانت تسيل لعاب وأطماع القوى الخارجية المختلفة التي كانت تتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها.

ظلت العلاقة بين المنطقة والقوى الخارجية على هذا النحو عدة قرون لم تكف هذه الأخيرة خلالها على الرصد والتربص لحظة واحدة، وعندما تمكن أحمد المنصور الذهبي من الوصول إلى مقاليد الحكم في المغرب التي كانت هي الأخرى من المتربصات وما إن وجد الفرصة حتى شرع في التخطيط الجاد لوضع يده على ثروات السودان الغربي وخيراته، حيث عمل على تسخير كل الإمكانيات بهدف السيطرة والاستحواذ.

وقد كان أول عمل قام به هذا الأخير هو بث العيوب في كل أرجاء المملكة، حيث قام باستمالة العلماء وذوي الجاه والنفوذ وشراء ذممهم بالهدايا والتلويح لهم بالنسب الشريف وماله من القداسة وأحقية الطاعة والولاء على ما سواه إلى غير ذلك من الحيل حتى ذكر أن بعض مستشاري بلاط الحكم المقربين لأسقيا كانوا من جواسيس أحمد المنصور.

دامت هذه المرحلة حوالي عشرة سنوات كانت كل المعلومات المتعلقة بأوضاع هذه الإمبراطورية تصل بصورة متواصلة وبطرق متعددة إلى ديوان أحمد المنصور، وعندما جاءت

[1] - نفسه، ص ص 21-22

المرحلة الحاسمة التي كان فيها هذا الأخير قد أعمل أبهته واستعداده بالقضاء عليها بكل سهولة.

على الرغم من أن هذه المملكة قد حاولت أن تنظم صفوفها وتدافع عن مجدها وكرامتها لكن الزمن كان قد فات ولم يكن لها خيار آخر سوى الاستسلام والخضوع لكل الشروط والإملاءات [1]، وهكذا سقطت إمبراطورية سنغاي الإسلامية في غرب إفريقيا على يد المغاربة سنة 1591م الذين استطاعوا القضاء عليها بكل سهولة، وبسقوطها دخلت المنطقة عهدا جديدا لعناصر جديدة في المنطقة الذين كان همهم الوحيد هو جمع ونهب الثروات[2].

[1] – عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص154.

[2] – عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص22.

المحور الثالث :

ممالك السودان الأوسط

1/- مملكة كانم "برنو":

تأسست مملكة كانم بالقرب من بحيرة تشاد خلال القرن الثامن الميلادي، ثم اتسع نفوذها بعد حوالي قرن من تأسيسها حيث شملت منطقة السودان الغربي، ومنها امتدت إلى بقية الممالك التشادية الأخرى.

عرفت كانم بهذا الاسم منذ القرن 9م، وهي منطقة واسعة تمتد بين دارفور في غرب السودان وادي النيل، وشمال بحيرة تشاد، ولقد استقبلت كانم العديد من الهجرات[1] في أعقاب الحروب التي هبت في وادي النيل من عهد الهكسوس إلى عهد الفتوحات العربية، وقد عرف هذا الشعب بشعب الساو.

وحتي حوالي سنة 700م لم تكن مملكة كانم قد ظهرت وإنما كان شعب "ساو" المهاجر يعيش في المنطقة في حياة شبه قبيلة.

ومنذ سنة 700م ظهرت هجرة قبائل الزغاوة[2] نحو منطقة كانم[1] وهؤلاء هم خليط من الزنوج والبنو والليبيون، وقبل القرن 2هـ/7م كانت هذه القبائل غير مستقرة حيث كانت تقطن الحافة

[1] – حمدي عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص183.

[2] – الزغاوة: يفسر بعض الكتاب بأن كلمة زغاوة مشتقة من كلمة سك أو (سغ) وتعني المعسكر او المخيم في لغة نبلاء الطوارق، والزغاوة هم مجموعة من الشعوب المختلطة من الزنوج النبو والليبيين، وقد كانت أوطانهم تمتد غربا إلى إقليم النيجر، غير أن هؤلاء نزحو عنهم واستقروا شمال غرب دارفور، أما لغتهم فهم يتكلمون أيضا لغة النبو لمزيد ينظر، إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية برنو

الجنوبية للصحراء الإفريقية الكبرى، ثم هاجرو بعدها نحو بحيرة تشاد، حيث نفوذهم هناك، ثم امتد نحو منطقة دارفور ناحية الشرق، وإلى هؤلاء الزغاوة يرجع الفضل في تأسيس مملكة كانم، والتي تمكنت من بسط نفوذها فأصبحت تضم منطقة كاوار، وإقليم وادي، وقبائل النوبة التي كانت تحد المملكة من الناحية الشرقية[2].

يقول ياقوت الحموي في بيانا حول مملكة الزغاوة في كانم " زغاوة هو بلد في جنوبي إفريقيا أي جنوبي تونس بالمغرب، وقيل قبيلة من السودان جنوبي المغرب وقال أبو منصور الزغاوة جنس من السودان إليهم زغاوى، وقال مملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حد المشرق منها مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مص، بينهم مسيرة عشرة أيام.

هكذا وقد استمرت أسرة الزغاوة تحكم كانم إلى غاية مطلع القرن 9م حتي قامت أسرة حاكمة جديدة، تسلمت مقاليد الأمور بعد حكومة الزغاوة حيث عرفوا بالماغوميين وهؤلاء هم من البربر البيض من أبناء عمومة الطوارق.

يعتبر عهد هذه الأسرة من أطول عهود الأسر الحاكمة في تلك الفترة، اتخذ حاكمها لقب " هاي" والتي تعني الملك، وتذكر الأساطير وسجلات كانم أن عدد ملوك هذه الأسرة قد بلغ إحدى عشر ملك، حيث يعد سيف بن ذي يزن اول حكامها وقد عرف باسم سالما أو سلماعة ويؤرخ لحكمه بحوالي سنة 1075م[3] هكذا وقد استمرت هذه الأسرة السيفية تتولي الحكم بكانم حوالي 8 قرون، وقد كان أول ملوكها الذين اعتنقوا الإسلام هو ماي هومية (هومية جيلمة) وذلك سنة (1085-1097م)، وتشير المصادر السودانية أنه بإسلام هذا الملك أسلم جميع شعب كانم في القرن 11م نفسه.

الإسلامية، (دط)، المكتبة العربية، القاهرة، 1395هـ/1975م، ص ص48-49. ووريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص288.

[1]- أحمد شلبي: المرجع السابق، ص138.

[2]- وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص166.

[3] - إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص ص48-49.

وفي عهده امتد سلطان كانم شرقا إلى سودان وادي النيل حتى الحدود الجنوبية لمصر ومملكة النوبة، وامتدت غربا حتى شملت نهر النيجر، وفي مطلع القرن 12م استطاعت كانم أن تفرض سيطرتها على عدد من القبائل الصحراوية الوثنية.

ولقد خلفه الحكم ابنه ديلمة (1098–1150م) والذي شهدت المملكة في عهده اتساعا كبيرا في حدودها الجغرافية ثم خلفه من على الحكم ملوك ضعاف، ومع نهاية القرن 14م تعرضت مملكة كانم لهجمات من طرف قبائل البولالا[1] وسكان فزان، فتصدى لهم الملك إدريس بن إبراهيم الذي يعد واحدا من أقوى سلاطين كانم، ثم الملك عثمان بن إدريس الذي قتل في العاصمة بحمى أثناء دفاعه عنها، وكان من نتائج تلك الهجومات لقبائل البولالا على مملكة كانم هو تفككها إلى عدة دويلات صغيرة.

- **الإسلام في كانم:**

تذكر الروايات الشفوية أن البدايات الأولي لدخول الإسلام إلى كانم كان تحديدا في مطلع القرن الحادي عشر، حيث تحولت فيها الأسرة الحاكمة إلى الإسلام، ويذكر أن أول ملك اعتنق الإسلام

[1] – قبائل البولالا: ومعناها أحرار الطوارق أو نبلاء الطوارق أي أنهم من الطبقة التي تنسب إليها الأسرة الموغولية، ويعرفون كذلك باسم كي بلالا، ويقال أن هؤلاء من العناصر التي نتجت عن مصاهرة عرب الشوا Shuwa مع الزنوج الوطنيين، أو عن طريق المصاهرة التي تمت بين الطوارق أوجيلا وفزان، وكذلك كان اختلاطهم مع العديد من القبائل المتعددة حول بحيرة ، فنرى من جهة أخرى والتي منها قبائل الكوكا Koka ، ولا شك أن الاختلاط والمصاهرة أمر مألوف منذ القدم بين العرب والزنوج والبرب، والراجح أن أصول البولالا بربرية مع التأثر بالدماء العربية، وقد جاء في المخطوطات العربية التي عثر عليها في بلاد البرنو أن أصل البولالا من العرب اليمنيين، وأن أول سلاطينهم شخص يدعى (محمد)، وقيل أنه جاء من الشرق إلى الغرب ومن سلالته زملاء البولالا الذين حكموا من منطقة فترى، ثم سيطرو فيها بعد على أجزاء كثيرة من بلاد كانم لمزيد ينظر، وريد عبد القادرنوري: المرجع السابق، ص282 وعبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا سلطنة البولالا، (ط1)، مكتبة مدبولي، (دب ن)، 1996م، ص19.

محمد بن جبل بن عبد الله (1085– 1097م) وقد كان هذا الملك يعرف في وثنيته باسم "حمى" أو"هومية جيلمة" وكان قد قام بدور كبير في نشر الإسلام[1].

ازداد انتشار الإسلام بعد ذلك في كل أرجاء المملكة حيث تمسك المايات به وبمظاهره، ففي عهد الماي دونمه (1098– 1150م) ازدادت نسبة اعتناق الإسلام ينتشر، وقد اشتهر بتقواه والتمسك بالدين وأدى فريضة الحج أكثر من مرة، وفي عهده بني أول مسجد بكانم بمدينة بالاك[2].

- **مملكة برنو:**

تقع برنو إلى الشرق من بلاد الهوسا، وتتصل ببحيرة تشاد، حيث يقول عنها الإمام محمد بلو " وأرض برنو ذات أشجار وأنهار كثيرة الخصب عامرة بالسكان ولا يوجد في المنطقة بلد أوسع منها وأكثر عمارة[3] تمتاز برنو بموقع ممتاز إذ يحدها من الشمال الصحراء الكبرى وجنوبا الهمج، وغربا بلاد الهوسا وشرقا بلاد التكرور.

أما عن اسم " برنو " فلم تذكره الكتب الجغرافية إلا في الربع الأول من القرن 7هـ ، ولم يشير الكثير من الباحثين والمهتمين الذين ذكروا (كانم)، وهو ما يفسر الدور المتأخر الذي لعبته برنو في تاريخ بلاد السودان ذلك لأن برنو كانت ضمن مملكة كانم.

وكلمة برنو في البداية لم تكن اسما على مكان[4]، فقد كان عرب الشو الذين سكنو في منطقة بحيرة تشاد قد أطلقوا كلمة " برنو" على قبائل الكانوري[5] وهي تحريف لكلمة (باران – Baran) أو

---

[1] – محمد علي فاضل باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص133.

[2] – إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص69.

[3] – أحمد شلبي: المرجع السابق، ص136.

[4] – عمار مرضي علاوي الحميلي: المؤثرات الإسلامية في مملكة برنو الإفريقية، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ، ص17.

[5] – قبائل الكانوري: وهؤلاء من الزنوج، وقد اختلطوا بالعرب والبربر، كما أنهم اختلطوا بقبائل الكانيمو وهم يكونون أغلب سكان كانم برنو، وقد دخل قسم منهم الإسلام، اشتهر هؤلاء بالزراعة في منطقة باغيرمي، كما أنهم كانو يعملون بالتجارة وغيرهم خبرة ومهارة

(بارام – Baram) في بعض اللغات الصحراوية باران أو بارام هي صيغتا الجمع لكلمة (بار – Bar) والتي تعني (رجل أو محارب) في تلك اللغات، وعموما فإن كلمة برنو تعني الرجال المحاربون[1].

- **انتقال مقر الحكم من كانم إلى برنو:**

بعد وفاة الماي دونمة دباليمي بدأت قوة كانم تضعف وتتدهور تدريجيا، حيث يعود بعدة أسباب منها هو الصراع الداخلي الذي شب بين أبناء الأسرة الحاكمة، ففي عهده بدأت الحروب والفتن الداخلية بين أبنائه الطامعون المتنافسون ولولا قوة جيشه وشدة بأسه لانهارت حكومته، أما العامل الآخر الذي شكل على مملكة كانم هو قبائل الصو التي استقرت منذ القدم في كانم، هؤلاء الذين خرجو أكثر من مرة على طاعة المايات الماغوميين وذلك منذ نهاية القرن 13م، واشتبكوا في صراع مرير استمر نحو قرن، وعلى الرغم أن الصو لم يتمكنوا من القضاء نهائيا على حكومة المايات، وما يفسر ذلك أن مايات كانم لا يزالون في تلك الفترة على درجة من القوة، حيث استطاعوا مقاومة هذه القبائل، إلا انهم كان لكثرة خروجهم أثر بالغ في إضعاف مملكة كانم[2].

لكن على الرغم من الخطر الذي واجهته مملكة كانم من طرف قبائل الصو، إلا أن الخطر الأكبر قد تمثل في أبناء عمومتهم البولالا هؤلاء الذين أغاروا على المملكة قبل نهاية القرن 14م، حيث عملت هذه القبائل على إضعافها وإنهاء حكمها، فبين سنتي 1387 –1400م هاجمت تلك القبائل مملكة كانم، وقتلت خمسة من ملوكها وتمكنت بعدها من احتلال العاصمة جيمي وهو ما دفع الملك عمر بن إدريس إلى نقل قاعدة بلاده نحو غربي بحيرة تشاد، حيث أقام في برنو حينها أصبح اسم المملكة معروفا بها[3].

فيها لمزيد ينظر، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص297. محمود شاكر: تشاد، (ط1)، مؤسسة الرسالة للنشر، المملكة العربية السعودية، 1392هـ/1972م، ص55.

[1] – تقي الدين الدوري والدكتورة خولة شاكر البحيلي: تاريخ المسلمين في إفريقيا، (ط1)، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 1435هـ/2014م، ص381.

[2] – إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنو، المرجع السابق، ص ص 93–95.

[3] – محمد علي فاضل باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص105.

هكذا وبعد طرد الماي عمر بن إدريس (ت حوالي 1391م) من العاصمة جيمي في كانم بدأت أهمية إقليم برنو السياسية تظهر، ففي البداية تعرض السيفيون إلأى العديد من المحن وذلك مع نهاية القرن 14م نتيجة صراعاتهم المستمرة لاستعادة إقليم كانم من بولالا وبعد نحو 70 سنة من الفتن والاضطرابات بدأت برنو تستعيد مجدها وقوتها ، حيث كان ذلك خلال النصف الثاني من القرن 15م.

وقد قضى مايات برنو الأوائل فترة مليئة بالصراعات والمصاعب وذلك منذ بداية طرد عمر بن إدريس من كانم إلى أوائل عهد الماي علي بن زينب الذي تولي الحكم سنة 1476م[1].

الماي علي بن زينب (1476 -1503م)

شهدت المملكة في عهده تطورا واضحا، حيث أعاد الماي لبرنو هيبتها، وتعتبر فترة حكمه بداية عهد جديد زاهر، فقد تمكن من القضاء على كل الاضطرابات الداخلية والحروب الأهلية التي تعرضت لها برنو، فقد عمد الماي علي بن زينب إلى بناء عاصمة جديدة لملكه وهي (مدينة بيرني)، وذلك حوالي سنة 1488م، أما بالنسبة للحروب الخارجية فقد بدأت بالهجوم على بلاد الهوسا المجاورة وانتصر عليها.

- **إدريس ألوما (1570 – 1603م)**

يعد الماي إدريس ألوما [2] من أعظم مايات برنو على الإطلاق، كان إدريس قد لقب ب (ألوما) نسبة إلى (ألو) الذي دفن بها.

في سنة 1570م تولي إدريس ألوما الحكم حيث تعد فترة قمة المجد للأسرة السيفية وان سبب شهرته تعود إلى المعلومات الوفيرة التى خلدت الاعمال والتي سجلها الإمام احمد بن فرتو ا مؤرخ بلاد برنو

[1] – إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص105.

[2]– وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص ص 173–174.

الذي كتب تاريخه ودون حروبه في شرق بحيرة تشاد وغربها حيث وقف هذا المؤرخ نجاح الماي إدريس الوما الباهر وفتوحاته الناجحة كماا وصفه أيضا بأنه عادل وحكيم[1]

لقد كان أول عمل قام به الماي إدريس هو تؤديه فريضة الحج وعندما عاد إلى برنو وصل إلى بريق حيث أمر بنقل جميع محاربيها بهدف إضعاف ديارهم حيث يذكر احمد بن فرنو ا انه* انتقم منهم وأصلح ما دمروه وأرغمهم على أن يتبعوا أصول الدين وان يجعلوا العدل نبراسا لهم ...*

هكذا وقد شهدت مملكة برنو في عهده تطورا كبيرا حيث حقق هذا الأخير عدة انتصارات وخضعت لبرنو جميع القبائل المجاورة منها قبائل الصو خاصة بعد تامين حدود بلاده الشرقية مع البولالا وقد كان معقل هؤلاء في تلك الفترة هو عاصمتهم مدينة *داماساك* حيث هاجمها الماي إدريس وانتصر عليهم وتمكن خلالها من بناء معاقل عسكرية أخرى التي زودها بالمقاتلين وبقي هذا الأخير يشن هجوما ته عليها إلى أن تمكن من فتح عاصمتهم[2]

عموما فقد بلغت مملكة برنو ذروتها في عهده خلال القرن السادس عشر حيث تمكن من هزيمة قبائل الساو نحو اندفع نحو الغرب حتى دام غرام كانو في نيجيريا الحالية كما أيضا على قبائل قبائل الطوارق في الابر من بلاد النيجر احكم سيطرته أيضا على بلاد التوبو لتامين مواصلاته مع البحر الأبيض المتوسط فالمملكة الواقعة شمال شرق تشاد تحت سيطرة قبائل البولالا ولكن المناطق العربية مع نجيجيمي ظلت مقاطعة بورنية إلى أن زالت هذه الأخيرة[3]

ولم يقتصر دور إدريس الوما على الجانب السياسي فغط بلى شمل حتى الجانب الديني فقط كان ناشرا لإسلام حيث بذل جهود كبيرة ليجعل الإسلام دين الدولة فنشره بين ربوعها واقتبس التشريع الإسلامي والعمل به فضلا عن بناء المساجد الكبيرة وانشأ في مكة مقر لحجاج برنو واتبع الفكر الإسلامي نظام الأسر وأصبحت جل حروبه لنشر الإسلام تابعة للفكر الإسلامي حيث لم يعد ذلك إرغام شخص لدخول في الإسلام 4*

---

[1] تقي الدين الدوري و الدكتورة خولة شاكر : المرجع السابق ص 388.

[2] – وريد عبد القادر نوري : المرجع السابق ص ص 176-177

[3] عمار مرضي علاوي الجميلي : المرجع السابق ص 323

وفي حوالي سنة 1602 توفي الماي إدريس الوما في إحدى المعارك الحربية إذ أصابه احد الوثنين بسهم في صدره وذلك عندما كان الماي يحارب قبيلة بارغمى ودفن في بحيرة الو في منطقة اوجى قرب كدجوري والتلا جاءت منه شهرته الوما نسبة إلى هذه البحيرة .

وبعد وفاته ترك الماي الوما دولة عظيمة وقوية بلى و تركها أعظم دولة شهدها السودان الأوسط يحميها جيش قوي هكذا وقد قامت مملكة كانم برنو التي قامت في السودان الأوسط بنفس الدور الذي لعبته إمبراطورية غانا ومالي وسنغاي في بلاد السودان الغربي [1].

- **نهاية الأسرة الحاكمة في برنو**

دخلت مملكة برنو طور الضعف والانحطاط منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي، فبعد وفاة الماي إدريس بدأ الوهن يتسرب إلى المملكة، حيث خلفه في الحكم ملوك ضعفاء لم يكونوا مثله في القوة والعزم فبوصول هؤلاء للحكم ضعفت هذه الأخيرة، وهو ما شجع الدول المجاورة وخاصة الوثنية التي استعادت قوتها من أجل الثأر لنفسها.

ومما زاد في ضعف البرنو بعد وفاة الماي إدريس هو كثرة المجاعات التي حدثت في المنطقة، نذكر منها المجاعة التي حدثت في عهد الماي إبراهيم بن إدريس والتي دامت حوالي سنة، وقد وقعت مجاعة أخرى في زمن الماي طاير (ت1681م) استمرت هذه الأخيرة حوالي أربعة سنوات[2]

هكذا وتذكر المصادر التاريخية أن هذه المجاعات وتكررها يدل على التدهور السريع والمستمر والضعف العام الذي عم أرجاء واسعة من المملكة، فقد كان ذلك نتيجة نقص المحصول والاهتمام بالزراعة الناتجة عن كثرة الفتن والاضطرابات التي أدت إلى تعطيل المنتوج.

ومن العوامل الأخرى التي أدت إلى ضعف مملكة البرنو هو ظهور قوة قبائل كوارار فايوكون في منطقة جونب، التي عملت على نهب كانو واجتاحت الأقاليم الغربية لبرنو زمن علي طاير الذي

[1] إبراهيم علي طرخان : المرجع السابق ص 122

[2] – وريد عبد القادر : المرجع السابق ص 178.

ذكرته الأساطير بأنه تمكن من قتل وجرح العديد منهم، غير أن أكبر خطر تعرضت له برنو هو الهجمات التي تلقتها من طرف قبائل الفولانيين[1].

ففي بداية القرن التاسع عشر الميلادي وفي ظل هذه الظروف المضطربة برز نجم هؤلاء الفولانيين على مسرح الأحداث وهو عثمان دان فودي في أقاليم الهوسا في الغرب من برنو وبدأ يوسع سلطانه من هنا وهناك إلى أن تمكن من تحرير كل الأقاليم التي كانت خاضعة لحكم برنو، وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي تحديدا سنة 1808م قام هذا الزعيم بالهجوم على برنو نفسها فعجزت هذه الأخيرة على صد الهجوم حيث فر ملكها أمام الجيش الزاحف متجها نحو كانم حينها امتد نفوذ عثمان دان فودي إلى بُونو[2].

2/- ممالك الهوسا

تطلق كلمة الهوسا على جميع الشعوب والقبائل التي تتكلم لغة الهوسا، والتي كانت منتشرة على نطاق واسع ببلاد غرب إفريقيا، خصوصا لحوض النيجر الأوسط.

وقد كانت تطلق أيضا على القبائل القاطنة بين مملكة كانم برنو شرقا، والمنطقة الواقعة حتى الضفة الشرقية لنهر النيجر غربا، ومن حدود مملكة اهير شمالا إلى غاية حدود نهر بنوى جنوبا[3].

وعد شعب الهوسا أكثر من عشرة ملايين شخص، وهم يشكلون بذلك أكبر مجموعة عرقية في شمال نيجيريا وجنوب النيجر وهؤلاء لا يشكلون جنسا واحدا[4]، بلى هم مزيجا كان قد تشكل عبر مختلف القرون من أصول عرقية متنوعة[5]، حيث تذكر الأساطير أنهم مزيج من جماعات من البربر أغاروا على الشمال واختلطوا خلالها بالزنوج على حافة الصحراء تحديدا عند واحة "إير" ولما كثر

---

[1] – إبراهيم علي طرخان: المرجع السابق، ص ص 128–129.

[2] – محمد علي فاضل باري: المرجع السابق، ص 139.

[3] – حمدي عبده سلامة موسى: المرجع السابق: ص ص 104–105.

[4] – محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص115.

[5] – محمد أمين أبه الأبقاري: نشأة الممالك والدويلات الإسلامية، المؤتمر الدولي في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية، 2006م، ص44.

عددهم انسابوا نحو الجنوب واحتلوا خلالها شمال نيجيريا، ويذكر أن زعيم البربر الذين وفدوا من الشمال تزوج ملكة الزنوج في الواحة التي كان قد سيطرة عليها هؤلاء وأنجب منها سبعة أبناء وهم من شيدوا إمارات الهوسا السبع لكن قد تكون هذه أسطورة.

وهكذا فقد تكونت الهوسا من سبعة ولايات أو ممالك كانت تربطها ما يمكن تسميته مجموعة واحدة[1] وقد اسس اغلبها زعماء الهوسا وهي " الدوارة وكانو وكداك وجوبير وكاتشينا ورانو وأنغارا" اجتهد كل ملك في أن يتخذ له عاصمة ويحصنها.

وتذكر المصادر التاريخية أن الممالك جميعها تفوق بما يحيط بها من ممالك قوية فحياة شبه حضرية حيث كان التعليم فيها منظم ودنها تعج بالمثقفين والعلماء.

أما عن دخول الإسلام إلى هذه الممالك السبعة فلم ينتشر فيها إلا خلال القرن 14م عن طريق تجار الماندينغ الغانيين ولكن البوادي والأرياف بقيت على وثنيتها[2].

ويؤكد مصدر تاريخي من كانو أن تجار الوانغار هؤلاء الذين قدموا من مالي بقيادة فقيه يدعى عبد الرحمان زيتي هم كان لهم الدور الرئيسي في نقل ونشر الإسلام باستثناء هذا الجزء من الهوسا هذا وتشير مصادر أخرى أيضا إلى أن ذلك كان تحديدا في عهد ملكها "ياجي" (1349-1385م).

وقد شهد مطلع القرن 15م هجرات جماعية نزحت من أقصى الغرب الإفريقي إلى وسطه لذلك فقد بدأت مختلف الأنشطة الثقافية على أيديهم.

هكذا فقد أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة، حيث أبدى الملوك اهتماما كبيرا بنشر تعاليم الإسلام وذلك تعاونا مع العلماء، فتغيرت كل العادات والممارسات الوثنية التي كانت بين الناس إلى ممارسات إسلامية.

وعموما فقد شهدت المنطقة مع نهاية القرن 15م قدوم عدد كبير من العلماء المسلمين من المغرب العربي وبلاد السودان قاموا حينها بنشر الوعي والثقافة الإسلامية في ربوعها[1].

---

[1] – أحمد شلبي: المرجع السابق، ص129.

[2] – محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، (دط)، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، (د س ن)، ص70.

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت بهدف نشر الإسلام في جميع هذه الممالك إلا أن الوثنية بقيت منتشرة في بعض المناطق منها، حيث كانت مملكة جوبر التي بسطت على أقصى شمال بلاد الهوسا مملكة ذات طابع وثني وذلك حتى مطلع القرن 19م، لهذا فقد كانت قبائل الفولاني تسعى لنشر الإسلام بها، حيث أحس ملكها أن قوة الفولاني تتزايد بهدف نشر الإسلام بين رعيته، فعزم هذا الأخير على أن يضع حد لقوتهم، غير أن ثورة عارمة هبت في وجهه استطاعت بفضل زعيمها أن هذه الدولة وأن يضمها إلى الإسلام وكان ذلك سنة 1802م[2] .

[1] – عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، (ط1)، دار الأمين، القاهرة، 1421هـ/2000م، ص ص90-91.

[2] – أحمد شلبي: المرجع السابق، ص132.

المحور الرابع :

ثالثا : ممالك السودان الشرقي

1/- مملكة الفونج:

تعد مملكة الفونج من الممالك الإسلامية التي قامت ببلاد السودان الشرقي، وتعتبر سنار[1] أول أقاليم السودان الشرقي القادم من جهة المشرق، وعلى هذا الإقليم نشأت دولة الفونج والتي قامت على أنقاض مملكة علوه النصرانية أوائل القرن 16م على يد زعيم الفونج يدعى "عماره دونقس" وخليفة عبد الله جماع شيخ عرب القواسمة [2] من جهينة، أما بالنسبة لحدود هذه المملكة فقد امتدت من سواكي شرقا إلى النيل غربا، ومن أقصى جبال فازوغلي جنوبا إلى الشلال الثالث شمالا[3].

أما عن أصولهم فقد اختلف الباحثون في تحديده، حيث يرى الأستاذ محجوب زيادة أنهم من بقايا الأمويين الذين فرو عقب انهيار دولتهم وقيام الدولة العباسية، واختلفوا في عدة مناطق حتى وصلت أفواج منهم إلى الحبشة والسودان وكان ذلك خلال القرن 15م وموطن الشك في هذه الرواية أن طول الفترة الزمنية بين سقوط الأمويين سنة 750 ، وأن قيام دولة الفونج كان سنة 1505م ، وإن صح أن هناك وجود صلة نسب تربط بين الفونج والأمويين فإننا نرى أن تلك الجماعات التي وفدت على السودان من بقايا الأمويين كانو قد رحلوا في البداية نحو الأندلس، ولما ضعفت دولة الإسلام بالأندلس بدأ هؤلاء رحلة جديدة نحو إفريقية خلال القرن 13م حتى انتهي بهم المطاف ببلاد السودان

---

[1] – سنار: وهي مدينة تقع على النيل الأزرق، وفي سنة 1504م اتخذتها مملكة الفونج عاصمة لها إلى الفتح المصري للسودان سنة 1810م لمزيد ينظر، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص289.

[2] – القواسمة: وهم ينتسبون إلى قاسم بن محمد بن عامر بن ذيبان بن جهينة وهم من قبيلة رقاعة جهينة، وذلك ماحسب ماأشارت إليه بعض المصادر المحلية السودانية، بينما توجد بطون عربية أخرى خارج سودان وادي النيل، ويطلق عليهم أيضا ب" القواسم" غير أنه لا يوجد أدلة تثبت القرابة التي تجمع بين القواسم والقواسمة ببلاد السودان، أما عن موطن استقرارهم، فقد تركزو في رفاعة بالسودان بإقليم البطانة شرقا بين لمزيد ينظر، إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص ص 300–302.

[3] – وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص184.

في القرن 14م و15م، وبمرور الزمن تمكن هؤلاء من السيطرة على باقي القبائل العربية معلنين سلطانهم عليها.

قيام المملكة

تشير المصادر التاريخية أن البداية الأولى لقيام دولة الفونج يبدأ من سنة 910هـ/1505م وذلك عقب تأسيس عاصمتها في سنار، فمنذ هذا التاريخ بدأ نشاطها سياسيا وعسكريا وثقافيا، حيث استمرت هذه الأخيرة حتي سقطت سنة 1821م .

ويعد عمارة دونقس (1504-1534م) أول ملوكها فبعد توليه الحكم قام ببناء مدينة سنار سنة 1505م وله يرجع الفضل في تنظيم الدولة وتقسيمها إلى ولايات، حيث كانت ولاية العبدلاب على رأس هذه الولايات وقد شكلت إلى جانب الدولة صرخا قويا لحلف سياسي ثنائي.

وبعد وفاة الملك عمارة دونقس خلفه ابنه عبد القادر وفي عهده شهدت الدولة أوج قوتها واتساعها فسيطر الفونج على الجزء الواقع جنوبي أريجي[1] إلى غاية جبال فازوغلي في الجنوب أما من جهة الشرق فقد تخامتت حدودها أرض الحبشة واستمرت هذه الأخيرة تتسع باتجاه الغرب حتى شملت كردفان في منتصف القرن 18م.

وفي عهد بادي أبو دقن (1645-1680م) شهدت الدولة أيضا توسعا كبيرا، حيث يعتبر عهده العصر الذهبي لفونج، فخلال هذه الفترة تمكن الفونج من هزيمة قبائل الشلك التي كانت تشكل لهم الخطر الأكبر، وقد دخلوا في صراع مع مملكة تقلي وتمكنوا من تحقيق الانتصار عليها[2].

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر دخلت المملكة في طور الضعف، حيث استمرت تعاني من الاضطرابات بسبب كثرة المنازعات الداخلية وانفصال أغلب الولايات من مركز الدولة (سنار)، وقد كان أول معول أضعف دولة الفونج هو انفصال العبدلاب التي كانت تشكل الحلف الثنائي (العبدلابي

[1] – أحمد شلبي: المرجع السابق، ص305.

[2] – وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص188.

– الفونجي) الذي كان هو الأصل فيتشكل قوة الفونج إلا أن وقوع العديد من المعارك بينهما والتي كانت أخرها معركة (كوكوج سنة 1611م) التي انتهت بهزيمة العبدلاب وهو ما شجع عدة قوى أخرى ضد الفونج [1]، أما عن انتشار الإسلام فتعد دولة الفونج أول دولة إسلامية في بلاد السودان الشرقي علما أن الإسلام كان قد انتشر تمهيدا لإسقاط الممالك والإمارات المسيحية ونشوء دولة إسلامي[2].

وهكذا فقد كان معظم ملوك الفونج هم من شجعوا الدعاة المسلمين للعمل في بلاد السودان الشرقي وذلك بهدف نشر الإسلام بين مختلف القبائل الوثنية إضافة إلى تعميق مفاهيم الإسلام لدى أغلب القبائل الحديثة العهد بالإسلام وقد أشار الأستاذ عابدين إلى ذلك بأنه " في عصر الفونج نشطت الدعوة الإسلامية واشتدت الرغبة في النهوض بالدين ونشر العقيدة بين الناس، وكانت أساليب الدعوة سامية في أغلب الأحوال وقلما كانت تستخدم أساليب العنف في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية[3]

وللسلطان وزير يلقب بسيد القوم،كما ان لرجال الدين الإسلالمي وأصحاب الطرق الصوفية مكانة خاصة في مجتمعهم،ويتبع سلطنة الفونج عدة مشيخات منها: مشيخة العابدلاب،خشم البحر ،والحلانفة،والشنابلة،والجعليون،والميرفاب،والرباطاب،والمناصير ،والشايقية.

وقد استمرت سلطنة الفونج حتى دخول الحملة التي أرسلها محمد على باشا للسودان حين تنازل(بادي) آخر سلاطينهم عن ملكه واعترف بتبعية منطقتهم للسلطان العثماني وسلم إدارة البلاد لولي مصر[4].

---

[1] – نفسه، ص189.

[2] – أحمد شلبي: المرجع السابق، ص317.

[3] – وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق،ص 190.

[4] شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم:تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم،دار الثقافة للنشر والتوزيع،مصر ،1996،ص67

2/- مملكة دارفور:

تعد مملكة دارفور إحدى أهم الممالك التي شهدها السودان الشرقي خلال القرن السادس عشر الميلادي، أما عن سكانها فيؤلفون من العنصر الزنجي أو العنصر الحامي وتذكر الروايات التاريخية تحديدا قبل القرن 12م دخل بلاد دارفور شعب أسود عرف بشعب "الداجو" [1] جاء من الشرق وسيطر على البلاد وتمكن من تأسيس ملكا فيها، ومع مطلع القرن 14م دخل المنطقة عنصر آخر مغربي من تونس وهو شعب التنجور Tuajor [2] فسيطر هؤلاء المهاجرون مع غيرهم ممن جاءوا من الشرق إلى المنطقة واختلطوا بالسكان الأصليين فنتج عن ذلك جنس مختلط بين الداجو والتنجور عرف شعب الفور [3]

وقد كان هناك جماعات من شعب الفور تعرف باسم "التورا" وتعني هذه الكلمة " العملات" حيث كان هؤلاء قد عرفوا بهذا الاسم قبل أن يدخوا الإسلام. وقد تميز هذا الشعب بطول القامة والبنية القوية كما تميزوا أيضا ببعض المظاهر الحضارية لاسيما في طرق البناء فقد كانت بيوتهم ذات شكل دائري وتسمي " بتورنق تونقا " وتعني بيوت العمالقة وربما هذا الاسم كان إشارة لطول قامتهم [4].

---

[1] – الداجو: وهؤلاء من أقدم عناصر السكان في دارفور، كان موطنهم تحديدا شرق وجنوب شرق جبل مرة، كما يعيش جماعات أخرى من الداجو في واداي، والبعض الأخر في دار ميسرته في جنوب غرب كردفان وتذكر المصادر أن الداجو هم أول من أسس دولة في منطقة دارفور ثم أزاحهم التنجور عن وسط دارفور، ويذكر أن الداجو هم التاجو وأن موطنهم كانت بين كانم وبلاد النوبة لمزيد ينظر، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 187.

[2] – التنجور: يذكر أهل البلاد أن هؤلاء هم من تمكنوا من تأسيس ثاني دولة في منطقة دارفور بعدما أزاحوا التنجور ولقد اختلفت الآراء في أصلهم فقيل أنهم من النوبيين وبني هلال، وأنهم هاجرو من بلاد النوبة من القرنين 15و16م، واشتهروا هناك باسم التنجور، وأسسوا دولة في شمال دارفور في جنوب جبل مرة، ثم بسطوا نفوذهم على وادي غربي دارفور فأدى ذلك إلى إضعاف سلطانهم، وبذلك استطاعت أسرة الفور تسمي كبيرا انتزاع السلطنة منهم أسست على أنقاضها دولة أخرى لمزيد ينظر، وريد عبد القادر نوري: نفسه، ص284.

[3] – حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص112.

[4] – إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص332.

تأسيسها

اختلفت الآراء حول تأسيس مملكة دارفور الإسلامية حيث ذهب البعض إلى أن تأسيسها يبدأ بتولي السلطان سليمان سولونج مقاليد الحكم وذلك سنة 848هـ/1445م والذي امتد حكمه حتى سنة 880هـ/1475م، بينما ورد في رواية أخرى فقد أشار الرحالة الألماني جوستاف ناختيقال إلى أن السلطان سولونج قد تولي الحكم سنة 1019هـ/1610م وأنه استمر فيه إلى غاية 1081هـ/1672م وهو رأي بعيد.

بينما يرى المؤرخ "يوسف تاكاتا" أن تأسيس مملكة دار فور الإسلامية على يد أسرة "كير" يعود إلى فترة زمنية متأخرة مابعد القرن 16م.

وعلى أي حال قد نشأت أسرة "كير" الإسلامية في طورة "أوتور" والتي تقع بالقرب من جبل مرة وسط إقليم دارفور[1] بعدما تمكن الفور من القضاء على مملكتي الداجو والتنجور.

ولا تزال الفترة الأولى من تاريخ الفور التي سبقت قيام دولة الملك سليمان صولون مجهولة غير أن الروايات التقليدية تقول بأن فرعا من الكنجازة ارتبط بعائلة التنجور وبهم بدأ عهد سلاطين الفور ويرجح أن المملكة في عهدهما وعهد سلاطين خلفائهم خلال القرن السادس عشر الميلادي كانت مقتصرة على جبل مرة، ثم اتسعت سريعا حتي شملت أجزاء من كردفان[2] ثم امتدت لفترة قصيرة حتى موضع أم درمان الحالية، ومن أهم حكامها السلطان سليمان سولونج والذي تحدثت عنه الروايات باعتباره أعظم سلاطين دارفور فبعد توليه الحكم اتخذ من بلدة (طرة) شمال جبل مرة عاصمة له،

---

[1] – نفسه، ص ص 391-392.

[2] – كردفان: وهو الإقليم الواقع حول جبل كردفان (جنوب شرق الأبيض)، والواقع في شمال جبال النوبة، وقد ضمت هذه الأخيرة إلى سلطنة الفور وذلك على عهد السلطان محمد فضل بعد طرد ملوكها لمزيد ينظر، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص296.

وبعدما تمكن من توطيد أركان دولته مد نفوذها شرقا وغربا مستعينا بالبدو (العرب على إخضاع جيرانه السود)[1].

وهكذا يعد سليمان سولونج من أهم الشخصيات التي تركت أثرا مهما في تاريخ مملكة دارفور، حيث يشير الرحالة جي ناخنيقال إلى سولونج هو الذي منح المملكة أساسا جديدا بأعماله الحربية وإدخال السلام لها بصورة كبيرة.

إضافة لهذا فقد ذكرت الروايات الأخرى أن السلطان سليمان هو أول السلاطين الذين قاموا بكساء الكعبة حيث كان أول ملك في تاريخ الممالك السودانية أرسل كسوة الكعبة إلى بلاد الحرمين ذلك ربما لأن أغلب ملوك السودان ممن كانوا يقومون "برحلة الحج" وكان هؤلاء أثناء رحلتهم يحملون معهم الهدايا الثمينة، لكن لا يعرف أن أحدا منهم قام بكساء الكعبة في كل الروايات التي تؤرخ إلى حقبة العصر الوسيط.

لهذا فيعد السلطان سولونج هو أول من قام بهذا العمل من بين ملوك السودان بصفة عامة في سنة 1610م [2] توفي السلطان سولونج، ومن بين السلاطين المشهورين الذين تولو الحكم من بعده هو السلطان عبد الرحمان الرشيد بن أحمد بكر تولي الحكم (1787-1802م) وكان قد عاصر دخول نابليون لمصر حيث كان السلطان عبد الرحمان قد كتب لنابليون يهنئه بفوزه على الممالك الذين كانوا يعتدون على قوافل دارفور ويعطلون تجارتها مع عبد يقوي بها الحبشة، وكانت مملكة دارفور مهابة وتخشاها القوافل المجاورة خاصة البقارة، على كثرة عددها، وتعتمد على العشور والفطرة والزكاة وغيرها من التجار ومن نصيب السلطان من قانوني العقوبات المدني الجنائي.

ومن الهدايا التي تصله من الحكام والرعايا، وبسبب استقلال الدولة فقد كانت حالة الشعب بشكل عام جيدة.

وقد زار هذه السلطنة الرحالة التونسي محمد بن السيد عمر التونسي وتحدث عن نظام حكمهم وتقاليدهم، فالسلطان صاحب السلطة العليا،وكانت السلطنة مقسمة الى أربعة وعشرين قسما،على كل

[1] – محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص141.

[2] – إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص ص397-398.

قسم رئيس يعرف –بالمك– له حاشية،والسلطان يوزع الأرض على المكوك لزراعتها مقابل الجزية السنوية.ويعاون السلطان الوزير ،وهناك مجلس للسلطان،وهم يعملون بزراعة الخضروات والقمح،والذرة والسمسم،ولهم تجارة واسعة مع مصر ومنذ أيام السلطان عبد الرحمان(1785–1802) أصبحت الفاشر عاصمة لهم.ودخلت هذه الاسلطنة في ظل الإدارة المصرية في عهد الخديوي إسماعيل[1].

أما بخصوص التعليم في مملكة دارفور فقد انتشر مع انتشار الدين الإسلامي، حيث عم كل إقليم دارفور على خلاف كردفان التي بقي جزء منها على وثنيتها.

وقد تبع انتشار الإسلام تشييد العديد من الجوامع والمراكز الثقافية وتذكر المصادر التاريخية أن سلاطين دارفور قد تميزوا عن غيرهم وذلك باهتمام هؤلاء كثيرا بالإتصال بالأرض المقدسة، حيث كانوا يدفعون لها الجزية من تلقاء أنفسهم عند بصرة الحرمين الشريفين.

وعموما فقد عاشت مملكة دارفور أكثر من قرنيين ونصف من الزمن في حكم مستمر إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي [2].

[1] شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق، ص68.

[2]– محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص142.

المحور الخامس :

انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

بالرجوع الى تاريخ وجغرافيا القارة نرى أن منطقة افريقيا جنوب الصحراء قد تلاحمت في إطارها العربي والإفريقي تلاحما بشريا وثقافيا وثيقا،وذلك بحكم الروابط الجغرافية والتاريخية الأزلية،وهي عوامل ساعدت على تقوية صلات وانسجام وانصهار شعوب المنطقتين العربية والإفريقية،دون تنافر أو تنازع بين المقومات الثقافية العربية والإفريقية،التي نلمسها اليوم في حياة عدد كبير من مجتمعات غرب إفريقيا المعاصرة[1].

كان للإسلام الفضل الكبير في نقل اللغة العربية ومختلف علوم الدين إلى أماكن كثيرة في غرب إفريقيا وخاصة مدينة تمبكتو التي ارتبطت ولادتها وظهورها بدخول الإسلام في المنطقة مع المرابطين الذين حملوا لواء الإسلام على عاتقهم لتعليم المجتمع السوداني معالم الدين الإسلامي ومبادئه وتعريفهم الآداب الإسلامية وقواعد الدين،هذه هي بداية تسرب الثقافة الإسلامية إلى السودان الغربي والتي ستصل ذروتها في ما بعد[2].

ويمكن تقسيم المراحل التي عبرت بها الثقافة الإسلامية إلى مجتمع جنوب الصحراء بصفة عامة والى المجتمع التمبكتى بصفة خاصة إلى مراحل:

---

[1] مطير سعد غيث احمد:الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي،ط1،دار المدار الإسلامي،بيروت ،لبنان،2005،ص217.

[2] عبد الرحمان ميقا:الحركة العلمية في مدينة تمكت،في مجلة دار الحديث الحسنية،العدد:14، 1997،المملكة المغربية،ص329.

المرحلة الأولى: حمل أعبائها الدعاة وسط القبائل والمساجد في المدن،واستمرت هذه المرحلة إلى أواسط القرن الرابع عشر،وكانت ثمرتها تعلم السواد الأعظم أحكام العبادات والمعاملات والسلوك الديني.

المرحلة الثانية: امتازت بتوثيق عرى الصداقة والإخوة بين المشارقة والمغاربة مع السودانيين،فوفد كثير من العلماء إلى المنطقة فأقتفى إثرهم المهندسون المعماريون الذين هم النواة الأولى المعماري العربي في غرب إفريقيا،وإنشاء مدرسة سودانية في مجال العلوم الدينية.

المرحلة الثالثة: تمتاز هذه المرحلة بتوسع مجالات المعرفة وتجاوز الأغراض السابقة لتضيف أغراضا فكرية جديدة أكثر عمقا وإبداعا كالفلسفة والمنطق والتاريخ وأدب الرحلة والإنشاء والشعر،و ابتدأت هذه المرحلة مع نهاية القرن السادس عشر[1].

انتشر الإسلام في بلاد السودان الغربي في وقت مبكر وبطرق سلمية، حيث تذكر المصادر العربية أن الإسلام كان قد دخل عن طريق عدة وسائل تمثلت بحركة التجار ونشاط الدعاة والهجرات بالإضافة إلى الطرق الصوفية التي لعبت هي الأخرى دورا بارزا في نشر الإسلام والعقيدة الإسلامية وفيما يلي عرض لهذه الطرق:

أولا: وسائل إنتشار الإسلام

1/- التجار:

لعب التجار دورا هاما في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، حيث عبر توماس أرنولد عن ذلك فقال " أن التجارة والإسلام في غرب إفريقيا مرتبطتان كل الارتباط" وهذا يفسر أن التجار المسلمون كانوا يجمعون بين مزاولة التجارة والدعوة إلى الإسلام، فقد كان هؤلاء أثناء تنقلاتهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم وبسلوكهم الشخصي وأمانتهم ونظافتهم، وكثيرا ما انتهي هذا الاحتكاك بدخول أعداد كبيرة من الزنوج في الإسلام [2].

---

[1] نفسه،ص ص 329-330.

[2] – موسى جمعة سليمان الحبيب: طرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، بنغازي، العدد 10، فبراير، 2016م، ص4.

من المعلوم أن حركة التجارة من طبيعتها أن تصل بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع، وإن الاحتكاك والاختلاط المباشر بهؤلاء جعلهم يؤثرون فيهم، وقد كانت المناطق التي يحلون بها يقتدون بهم في معاملاتهم وتصرفاتهم في حياتهم اليومية، فقد كانوا يرونهم يتوضؤون ويقيمون الصلاة في جماعات ويرتلون القرآن ويحتفلون بالأعياد الدينية، وهو ما دفع هؤلاء الوثنيين إلى ترك دين آبائهم والدخول في دين الإسلام[1].

لقد كان من نتائج هذا الارتباط التجاري هو استقرار عدد من التجار المسلمين في المدن الإفريقية، حيث كون هؤلاء لأنفسهم أحياء خاصة بهم وأقاموا فيها مساجد لهم ومدارس لتعليم القرآن الكريم ومبادئه.

وفي هذا الصدد يذكر ابن بطوطة أنه رأى في عاصمة مالي عدد من هؤلاء التجار قد استقروا وبنو محلة وتعرف بمحلة البيضان.

وفي عاصمة سنغاي جاو تمكن التجار المسلمين الذين استقروا فيها أيضا مع أخوانهم الدعاة من تحويل هذه الدولة من الوثنية إلى الإسلام[2].

هكذا وقد أضحى هؤلاء التجار يقومون بمهمة الدعاة المسلمين إلى جانب حركتهم التجارية، حيث ترأس التجار العديد من حلقات الدرس والتعليم مما ساعد على نشر الإسلام في تلك المنطقة.

وبذلك فقد ارتبطت الحركة التجارية ارتباطا وثيقا بنشاط التجار في مراكش وغدامس وجبل نفوسة والقيروان وسجلماسة وتلمسان وغيرها من المراكز التجارية المغاربية الأخرى فمن خلال العملية التجارية بين المنطقتين دخلت المؤثرات الإسلامية في بلاد السودان الغربي وبصورة رئيسية من بلدان

[1] – عبد الله سالم محمد بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، (ط1)، دار الكتاب الوطنية، بنغازي ليبيا، 2010م، ص152.

[2] – العبيدي عبد العزيز بن راشد بن عبد العزيز: وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، دراسة تاريخية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد6، فبراير، 1990م، ص12.

الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى التي لعبت دور الوسيط بين المنطقتين، حيث سهل دورها في تلك المنطقة على تصاعد النشاط التجاري وازدهار الطرق والقوافل التجارية.

ومن خلال هذه الحركة أصبح دور التجار العرب واضحا في فتح العديد من المراكز التجارية في مناطق مختلفة، وقد كانت هذه المراكز كثيرا ما تجمع بين الطابع التجاري والثقافي[1].

2/- الفقهاء:

ساهم الفقهاء بدور كبير في توطيد الصلات الثقافية والعلمية مع أهل بلاد السودان الغربي وذلك منذ أن توطدت دعائم الإسلام في الشمال الإفريقي، حيث أسفر العهد المرابطي في غانة عن استقرار عدد كبير من الفقهاء وأهل العلم وقراء القرآن، وفي هذا الصدد يذكر الزهري على أهل جناوة عند نهاية القرن الخامس هجري الحادي عشر الميلادي أن "عندهم العلماء والفقهاء والقراء". فيتضح من خلال هذا القول أن بلاد السودان الغربي تشهد انتشار كبير للفقهاء في مختلف المناطق.

وفي نهاية القرن 6هـ/12م شهدت البلاد توافد أعداد كبيرة من الفقهاء المغاربة ويرجع ذلك إلى تشجيع سلاطين مملكة مالي وحرصهم على أن يتفقوا في الدين وأن يعملوه لرعيتهم، حيث كان السلطان منسى موسى يفخر بأنه مسلم وكان قد أرسل يطلب العلماء من بلدان المغرب والمشرق والأندلس واستقدمهم لبلاده وكانوا أغلب فقهاء مالكية لهذا فقد أصبحوا يمثلون جماعة كبيرة إلى جانب جماعة من الفقهاء الإباضية الذين كانوا متواجدين في أغلب مدن مالي.

كان لهؤلاء الفقهاء تأثير كبير على حياة السودانيين[2] فقد أشار الرحالة ابن بطوطة إلى هذا بقوله "... هذه المناطق في مالي بعد انقضاء عصر المرابطين بنحو قرنين، فوجد في تعاليم الإسلام على مذهب مالك مازالت موجودة وبصفة خاصة تلك التعاليم التي تقضي بالتمسك بالدين والحرص على

---

[1] – إصلاح محمد البخاري حمودة: انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت – غدامس أنموذجا (7-11هـ/13-17م)، (ط1)، دار الكتب الوطنية، (د م ن)، 2004م. ص132.

[2] – عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي، (ط1)، القاهرة، 2013م، ص124.

أداء فرائض الشريعة إلى أبعد الحدود فيما يتعلق بالمواظبة على الصلاة في المساجد، وحفظ القرآن وحرصهم على الفهم الصحيح لتعاليم الدين بحرصهم على دراسة الفقه".

فمن خلال هذه المقولة يتضح لنا مدى الدور البارز والمؤثر على حياة أهالي السودان الغربي وذلك بحرصهم ورغبتهم في دراسة الفقه.

ونظرا للدور الذي لعبه الفقهاء أصبح لهم مكانة في نفوس الناس حتي أنهم كانوا إذا استفتوهم يأتمون بأمرهم حيث تذكر المصادر التاريخية أن كل من يلجأ سواء إلى المسجد أو دار الفقه يكون آمنا ولا يتعرض له أحد بسوء.

ومن بين الفقهاء المغاربة نجد الإمام عبد الكريم المغيلي هذا الفقيه الذي كان له رحلة قصد فيها العمل في نشر قواعد الإسلام في السودان الغربي، وقد توقف ببلاد كثيرة منها توات ثم دخل بعدها تكدا[1] ، فجالس أهلها وطلاب العلم فاقرهم على الشريعة الإسلامية ، ثم دخل بعدها بلاد كانم وكاسينا، ثم انتقل بعدها نحو بلاد التكرور، ثم جاء اجتمع بأسكيا محمد أين اتبع طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف كتاب أجابه فيه المغيلي عما سأل.

وقد كان لانتقال المغيلي نحو بلاد السودان الغربي الأثر الطيب عند الفقهاء فعادو لممارسة دورهم في القضاء على مظاهر الوثنية والشرك التي كانت قد أخذت تتسلل المجتمع عقب سقوط مملكة مالي الإسلامية[2].

وفي عهد الأسكيا محمد اهتم كثيرا بالدين الإسلامي فأصبحت البلاد في حالة ملائمة، حيث شهدت استقبال العديد من الفقهاء القادمين من خارج البلاد، وبهذا دخل الكثير من فقهاء المغرب أقاليم سنغاي وقاموا بدور مماثل لما صار عليه الإمام المغيلي بهدف تصحيح المفاهيم الدينية لدى أهالي بلاد السودان الغربي.

---

[1]– تكدا: وهي مدينة تقع في شمال النيجر حاليا، وتعد من أهم المراكز الواقعة خلف الصحراء في الطريق الشرقي لبلاد الهوسا، وتمثل ملتقي لطرق القوافل القادمة من السودان الأوسط إلى توات، وقد ذكر الرحالة الجغرافيين أن لتكدا أهمية تجارية كبيرة، حيث كان بها سوقا تجاريا مهما فوصل أهلها إلى درجة كبيرة من الثراء، وذكر العمري أن أهلها يبيعون النحاس الأحمر إلى بلاد السودان وزن مثقال بثلثي وزنه ذهب لمزيد ينظر، عبد الله سالم بارنينة: المرجع السابق، ص148.

[2] – عبلة محمد سلطان لطيف: المرجع السابق، ص130.

وقد نشط الفقهاء أيضا عقد اللقاء بينهم وإقامة حلقات مناقشة، وفي التنقل وطلب العلم من بلد أخر، حيث يذكر أحمد بابا التمبكتي عن الفقيه عبد الله بن أحمد الزموري والذي يعد من أهل تمبكت أنه سافر إلى ولاته أين التقى حينها بعلماء الفقه فيها ودارت بينه وبين هؤلاء مناقشات ومناظرات، كما تولى مهام التدريس، ثم عاد إلى تمبكت وقام بتأليف مجلد كبير بخطه، وهو شرح على كتاب الشفاء للقاضى عياض، وهكذا فقد كان للإمام المغيلي فضل كبير على بلاد السوادن فقد درس على يديه جماعة أصبحوا فيما بعد من أشهر فقهاء السودان الغربي[1].

3/- الهجرات:

تعد الهجرات عاملا مهما تسرب من خلال الإسلام صوب بلاد السودان الغربي، وقد تطلب هذا الأمر وقتا طويلا امتد منذ دخول الإسلام حتى القرن الثالث عشر، وقد جاء هذا الاختلاط بين العناصر القادمة وبين الأهالي نتيجة استيطانهم في المراعي حول أحواض الأنهار، واندماجهم ومصاهرتهم للأفارقة.

كانت الهجرات سلمية، حيث لم يكن هؤلاء القادمين عليها منشغلين بأمر الدعوة للإسلام فقط، بل كان مجيئهم وبقائهم في تلك المناطق هو كفيل بالتجمع حولهم وزيادة اعتناق الأفارقة للإسلام[2].

وقد لعبت قبائل البربر والطوارق أو ما يسمى بالملثمين الدور البارز في نقل الإسلام وتعاليمه من خلال الدور الوسيط الذي لعبته بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، فقد كان لهؤلاء القدح المعلى في حمل الإسلام إلى تلك المناطق كانوا الموجه لتاريخ الإقليم وثقافته.

ومن أولى الهجرات التي زحفت نحو بلاد السودان هي هجرات قبائل صنهاجة بفروعها المختلفة خاصة مسوفة وجدالة ولموته، حيث يؤكد عبد الرحمان السعدي ما ذهب إليه ابن حوقل وابن أبي زرع وابن خلدون بوصفه لقبائل صنهاجة لأنهم "... طواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل ليس لهم مدينة يأوون إليها، ومراحلهم في الصحراء... ما بين بلاد السودان، وبلاد الإسلام، وهم على دين الإسلام ... ويجاهدون السودان"

---

[1] - نفسه: ص131.

[2] – موسى جمعة سليمان الحبيب: المرجع السابق، ص4.

هكذا فقد أدت قبائل صنهاجة أدوار مهمة في المنطقة منها الدور الثقافي والاجتماعي، حيث يرجع الفضل لإحدى بطون هذه الأخيرة وهم طوارق مقشرن في تأسيس مدينة تمبكت في القرن 5هـ/11م.

إضافة لهذا فقد شهدت مدينة سيلا بعض الهجرات للبدو القادمين من الشمال الإفريقي سعيا وراء المراعى وموارد المياه، حيث كان لهذه القبائل الدور الكبير في نشر الإسلام، وتذكر المصادر التاريخية أن معظم القبائل والشعوب التي يرجع لها الفضل في نشر الإسلام بعد اعتناقهم له، هي شعوب بدوية غير مستقرة وأن حركة تنقلها فصلية، حيث كانت تهجر أوطانها لأسباب اقتصادية وسياسية وغيرها[1]، فقد كان من ضمن هذه الهجرات في إفريقيا أيضا هي هجرة الفولاني التي قدمت من الغرب واستقرت في مناطق الهوسا تحديدا شمال نيجيريا الحالية، فكان لها الدور البارز في نشر الإسلام في تلك المناطق ومن قبيلة باتورنك الفولانية خرج الشيخ عثمان دان فودي الذي قام بحركة إصلاحية كبيرة تمكن من خلالها من القضاء على الوثنية ومظاهر الانحراف التي طرأت على العقيدة[2].

ومن بين الجماعات القبلية الأخرى التي وصلت إلى بلاد السودان الغربي خلال 9هـ/15م، قبائل كنته الذين هاجروا من توات نحو ولاته ، والتي يرجع لها الفضل في نشر الطريقة القادرية في المنطقة، فقد تمكنوا من الوصول إلى تمبكت، ولم تمر فترة طويلة حتي انتشر دعاة وفقهاء هذه القبيلة في المنطقة حيث اندمجوا مع القبائل الوثنية واخذوا يدعون بين صفوفهم إلى الدين والعلم معا.

وبذلك لعبت هذه القبائل دور كبير في الدعوة تقوم على الإرشاد السلمي والتمسك بالعقيدة [3].

4/- الطرق الصوفية:

أدت الطرق الصوفية دورا إيجابيا وفعلا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي، حيث انتشر بين الأفارقة عن طري بعض الطرق الدينية التي استطاعت أن تثبت

---

[1] – حسن علي إبراهيم الشيخي: تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتي نهاية القرن السادس عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا الآداب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2009/2008م، ص ص 234-235.

[2] – عبد العزيز بن راشد العبيدي: المرجع السابق، ص ص 10.

[3] – حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص ص 237-238.

وجودها في الكثير من المناطق الإفريقية من خلال جهودها، فقد تصدت هذه الطرق للمجتمعات الوثنية، وقامت بنشر الإسلام والتعاليم الإسلامية بين الأقوام الوثنية، وبين الحكام الأفارقة الذين حاربوا هذا الدين الحنيف، وبفضل هذه الطرق توسعت الدعوة المحمدية في مختلف مجتمعات الصحراء الكبرى[1].

ومن العوامل التي ساعدت على انتشارها في بلاد السودان هو اختلاطها بمختلف طبقات المجتمع، وتعايشها بين العامة والفقراء فعكس ذلك صورة حسنة لها لاتصاف شيوخها بالتقوى والصلاح.

ومما ساعد أيضا على انتشار هذه الطرق هو تكيفها وانسجامها مع بيئة المجتمعات الإفريقية وعاداتهم وتقاليدهم، فقد كان استعمال الدفوف والطبول في حلقات الذكر قد وجدت قبولا كبيرا من طرف الأفارقة.

وهكذا فقد ساهم العديد من أئمة الطرق الصوفية بنشاط علمي فكري يهدفون من خلاله إلى نشر الثقافة الإسلامية، فأسسوا بذلك مراكز ومعاهد علمية أسهمت بشكل بارز في تأسيس منهج علمي مدروس وعلوم إسلامية دينية ورثتها الأجيال في بلاد غرب إفريقيا.

وقد أكد المؤرخون أن الطرق الصوفية قد لعبت دورا مركزيا في نشر الإسلام في مختلف المناطق الإفريقية منذ أقدم العهود.

وضمن السياق نفسه يؤكد هؤلاء أيضا "... انتشار الإسلام في السنغال ومالي والنيجر وغينيا وغانة ونيجيريا وتشاد ... إنما يرجع الدور البارز في ذلك إلى الطرق الصوفية حيث كان للزوايا والرباطات التي تم تأسيسها من طرف شيوخ هذه الطرق تأثيرا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الوثنية في غربي القارة الإفريقية ووسطها[2].

-أ- الطريقة القادرية:

[1] – إصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص124.

[2] –عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص137

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ولد بجيلان سنة (471هـ/1078م) التي كانت تقع حينها شمال شرق العراق، أما حاليا فهي تقع شمال إيران قريبا من شاطئ قزوين.

كان الشيخ عبد القادر قد تفقه على يد عدد من مشايخها حيث ظهرت على يده العديد من الكرامات وتاب وأسلم على يده أيضا الكثير من الناس.

دخلت الطريقة القادرية غرب إفريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي بواسطة المشايخ القادمين من توات في غرب الصحراء الكبرى الذين اتخذوا من ولاته مركزا لطريقتهم، غير أن إسلامهم أجبرهم على الخروج منها، فانتقلوا إلى منطقة تمبكتو على الثنية العليا لنهر النيجر وأقاموا شرقي ولاته[1]

وتذكر المصادر التاريخية أن انتشار الطريقة القادرية في غربي إفريقيا والصحراء الكبرى يعود إلى قبيلة كنته العربية التي برز منها علماء أجلاء منهم الشيخ أحمد الكنتي الكبير[2] الذي يعتبر صاحب الفضل الكبير في بلورة الطريقة القادرية وصبغها بطابع إفريقي.

ويعد أول من نشر القادرية في السودان الغربي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي أتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى والى شمال نيجيريا ، ثم الشيخ أحمد البكاء الكنتي الذي عمل على نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى ،وقد أصبح الشيخ على الكنتي قطبا لطريقة القادرية عندما انتقلت قبائل كنته في القرن التاسع الهجري

[1] حمده عبده سلامة موسى : المرجع السابق ص 137

[2] – أحمد الكنتي الكبير: (1730–1811م) وهو المختار بن أحمد بن أبي بكر بن سيدي محمد بن حبيب الله بن الوافي بن سيد عمر بن الشيخ بن سيدي محمد الكونتي ولد سنة 1730 م في الشمال الغربي (بآروان) التابعة لجمهورية مالي الحالية، نشأ الشيخ وترعرع على الطريقة التقليدية للبدو في وسط ثقافي رفيع المستوى، حيث اشتهرت أسرته بالعلم الكبير والصلاح والتقوى ، كانت مخايل النبوغ بادية عليه منذ نعومة أظافره، بذلك فقد كان الشيخ رجلا عالما ورعا ورجل سياسة بارز ومصلحا اجتماعيا هكذا فيعد أحمد الكنتي من أبرز علماء غرب إفريقيا خلال القرن (18م) حيث كان قد لعب دورا سياسيا واجتماعيا وفكريا روحيا في الحياة الصحراوية خاصة وغرب إفريقيا عامة حتى وفاته سنة 1811م لمزيد ينظر، عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص 210.

الخامس عشر ميلادي إلى واحات توات ،وحملوا معهم الطريقة القادرية[1] وفي هذه الواحات انتشرت القادرية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي ،وكان شيوخ الكنته يزورون برنو يتبعون الطريقة القادرية واتخذوا من مدينة ولاتة[2]. أول مركز لطريقتهم ثم لجأوا إلى تمبكتو في مالي[3] وانتقلت الطريقة إلى منطقة النيجر حيث ساعد الفقيه محمد الأنصاري على نشرها وفي أوائل القرن الثامن عشر ميلادي أسس شيوخ الكونته مدينة مبروك التي صارت مركزا لنشر الطريقة القادرية[4].

ولم يكتف القادرية بما عرف عن الطرق الصوفية من حلقات ذكر،وتراتيل،بل اتجهوا وجهات مختلفة قربتهم من الجماهير ،ونشرت الدعوة الإسلامية،في السودان الغربي ،فكثير منهم جلسوا معلمين للصبية،وتفقه بعضهم في الدين فأصبحوا علماء وخطباء ،أما أغنياؤهم فأتجهوا إلى الشبان يختارون أذكاهم ويرسلونهم إلى مراكز الثقافة بالشمال ليتزود هؤلاء بالعلم ،وليعودوا قادة بين أهليهم،وفتح الأغنياء كذلك المدارس للطلاب، ولما جاء القرن التاسع عشر كانت السيطرة الروحية ،والفكرية تامة لجماعات القادرية في أكثر نواحي السودان الغربي،وعلى يد رجال القادرية تحول الدخول للإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية[5].

انتشروا في السودان الغربي من السنغال إلى مصب النيجر،وتقوم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوتهم في كنكا وتمبو Timbo بجبال (فوتا جالون) ومسردو Musrdo (الواقعة في بلاد الماندنجو)

---

[1] ernest Paul Marty: Études sur l'islam et les tribus du soudan ,tom 4,edition leroux,Paris,1912.PP49-50.

[2] هي أحدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية،ولقد أشار إليها ابن بطوطة ايولاتن وقال عنها:

« ...يتفاخرون بكثرة العبيد والخدم... وثياب أهلها حسان مصرية» . ينظر ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج2،ط1،المطبعة الخيرية،1904م ،ص249

[3] محمد علي باري وسعيد ابراهيم: المرجع السابق،ص ص43-44.

[4] محمد حوتية: المرجع السابق،ص119.

[5] أحمد شلبي: المرجع السابق،ص212.

وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الإسلامي وسط شعب وثني رحب بالقادرية[2] باعتبارهم كتابا، وفقهاء ،وكتاب تمائم ،ومعلمين[1].

هذا وقد أسس شيوخ جماعة الكنتي مركزا للطريقة القادرية في السودان الغربي، وعملوا على توسيع حدودهم، وصار الشيخ مختار الكنتي من أبرز أقطابها، كما امتدت غربا حتي السنغال.

وعموما فقد حاولت هذه الطريقة القضاء على الكثير من الخرافات، والتخلص من العادات المنافية للدين الإسلامي، كما تصدت أيضا لرجال التبشير المسيحي[2].

- ب- الطريقة التجانية:

وهي من الطرق الصوفية التي انتشرت في غرب إفريقيا، أنشأها أبو العباس أحمد بن مختار التيجاني (1737- 1815م) أحد أهالي قرية عين ماضي بالجزائر كان الشيخ قد تلقى تعاليمه الأولى بمسقط رأسه ثم أتمها بفاس سنة 1758م وتنقل بعدها في مختلف المدن الإسلامية منها تلمسان ومكة والمدنية والقاهرة وتلمذ لشيوخها، ثم انخرط في سلك الطوائف الصوفية، فأسس طريقة جديدة ثم عاد بعدها إلى فاس واتخذها مركزا لنشر لدعوته[3].

ظهرت الطريقة التجانية في بلاد السودان الغربي على يد الحاج عمر الفوتي الذي كان والده من المرابطين قامت هذه الطريقة على أساليب القادرية في الدعوة وساعدت كثرة المدارس التجانية على نشر تعاليمهم التي كانت متأثرة بتعاليم القادرية والمرابطين الذين عملوا على نشر تعاليم الإسلام بين القبائل الوثنية حول نهر النيجر الأعلى والسودان[4].

---

[1] توماس وارنولد: الدعوة إلى الإسلام ،ترجمة،حسن إبراهيم حسن وآخرون،مكتبة النهضة المصرية،1971م، ص365.

[2] – حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص ص261-263.

[3] – حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص19.

[4] – عبد الله سالم محمد بارزينة: المرجع السابق، ص207.

الطريقة التجانية أحد أشهر الطرق الصوفية التي عرفها السودان الغربي ،في العصر

الحديث،ويعتبر الشيخ محمد الحفيظ بن مختار[1] أول من أدخل تعاليم الطريقة التجانية إلى السودان الغربي.ومن الشخصيات السودانية البارزة– التي وطدت أركانها وساعدت على

انتشارها في مختلف ربوع السودان الغربي في ظل انتشار الوثنية والجهل– الحاج عمر الفوتي[22] الذي أخذ يعظ الناس للرجوع إلى عقيدة السلف[3] ومحاربة الوثنية وتوجيه اللوم من وجهة نظره إلى الأمراء المسلمين المحليين الذين كانوا السبب في تراجع الإسلام في بعض المناطق خلال القرنين 17 و18م نتيجة تقاعسهم وتسامحهم المفرط،وكانت أصابع الاتهام موجهة بالدرجة الأولى إلى رجال الطريقة القادرية[4].

انضم له أخوه أحمد ،ومضيا إلى بلاد فوتاجالون ،وإلى مناطق البمبارا،وهناك واجه بعض المقاومة ،وهو يدعو للإسلام، ولكن النصر حالفه،وكثر أتباعه ومريدوه؛ ويقول عنه توماس

[1] إمام ومربي أسس أول زاوية بشنقيط، وعلى يده دخل الناس في الطريقة جماعات وخلف 10 مقدمين واصلوا دعوته كان من أشهرهم مولود فال ،توفي سنة1830م انظر: بن يوسف تلمساني:المرجع السابق،ص113.

[2] ولد الحاج عمر بن سعيد الفوتي 1212هـ الموافق لـ 1797م بحلوارAlwar بالقرب من بدور في إقليم فوتا تورو بقطر السنغال .وتربى وترعرع بين أبوين كريمين وحفظ القرآن الكريم عن والده الشيخ سعيد بن عثمان،ثم إجتهد في تحصيل العلوم الشرعية حتى أشير إليه بالبنان في المنقول والمعقول،أخذ مبادئ الطريقة التجانية عن الشيخ مولود فال الشنقيطي وكذا عن الشيخ عبد الكريم الأوراد اللازمة للطريقة ،وقد أدى الحاج عمر فريضة الحج وأقام بمكة حوالي ثلاث سنوات درس خلالها على يد زعيم الطريقة التجانية محمد الغالي،الذي عينه خليفة للتجانية في السودان الغربي ثم مر الحاج عمر على القاهرة وزار الأزهر الشريف حتى التقى بكبار العلماء ورجال الدين وعلماء الصوفية ، وعندما عاد إلى السودان استقر بعض السنوات في سوكوتو حيث استقبل من قبل أميرها محمد بلو بن عثمان فوديو وتزوج أبنته،وأخذ عنه محمد بلو مبادئ الطريقة التجانية ولا شك أن رحلات الحاج عمر إلى مكة والقاهرة وسوكوتو قد أفادته كثيرا فزادت ثقافته الدينية وأطلع على شؤون العالم الإسلامي ولعل أهم نتيجة لهذه الرحلات هو أنه أصبح زعيما.

[3] أحمد شلبي :المرجع السابق،ص 215.

[4] بن يوسف تلمساني:المرجع السابق،ص 115.

أرنولد: « إنه كان رجلا كريم السجايا ،ذا نفوذ شخصي ،ومظهر يوحي بالسيطرة والقوة،اشتهر بعلمه وورعه حتى عد مهديا جديدا»[1].

هذه الانتصارات التي حققها الحاج عمر التجاني على حساب الوثنيين ،كانت دافعا مهما في التفاف شعب التكرور حول حركته،بل أصبحوا يتبعون منهجه ويمجدون الطريقة التجانية إلى درجة أن ارتبط تجديد نشر الإسلام ومحاربة الوثنية بالطريقة التجانية، الأمر الذي جعل الكثير من القبائل تجدد إسلامها وتعلن تخليها عن مبادئ الطريقة القادرية[2].

وبفضل النجاحات الدينية ،والسياسية التي حققها المجاهد الحاج عمر أصبح يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء،تمتد من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي ،وظلت تدين له بالولاء طيلة أربعين سنة، وكانت الطريقة التجانية هي الطريقة الرسمية في كل أرجاء الأمبراطورية[3] .

وفي هذا الصدد ألف الشيخ محمد الحافظ المصري كتابا بعنوان الحاج عمر "سلطان الدولة التجانية" يبرز فيه عظمة الجهود التي بذلها هذا القائد التجاني في إرساء دعائم الدين الحنيف في السودان الغربي ،ودلالة على قوة هذه الدولة التي أسسها السلطان التجاني الحاج عمر، ولعل أدل شاهد على انتشار ومدى نشاط التجانيين في الدعوة الإسلامية هو العدد الهائل من أتباع الطريقة في إفريقيا عامة والسودان الغربي خاصة ،وهذا ما سنلاحظه من خلال الجدول الأتي[4]:

---

[1] أحمد شلبي :المرجع السابق،ص 215.

[2] بن يوسف تلمساني:المرجع السابق، ص 116.

[3] أحمد شلبي :المرجع السابق،ص 215

[4] عبد الباقي مفتاح:أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه،د.ت،الوليد للنشر،الوادي،الجزائر، ص210.

البلدان	العدد الإجمالي للسكان.مليون/ن	غيرالمسلمين %	المسلمين %	نسبةالتجانيين %
موريتانيا	3 ملايين	-	100	60
السنغال	6 م	5	95	90
غينياكوناكري	5 م	3	97	80
ساحل العاج	6 م	43	57	70
نيجيريا	100 م	35	65	65
النيجر	5 م	10	90	80
مالي	7 م	8	92	80

يبرز لنا الجدول السابق ارتفاع أعداد أتباع الطريقة التجانية في السودان الغربي ،مما يوضح لنا الدور البارز الذي لعبته الطريقة التجانية في نشر الإسلام – وهي أوفر حظ من غيرها في نشر الإسلام بين الوثنيين–[1]. ومقاومة الاستعمار الفرنسي خلال القرن 19م،بقيادة المجاهد والمصلح الحاج عمر وخلفائه في بعده.

أما الجدول الثاني[2] يبرز لنا تعداد أتباع أهم الطرق الصوفية الأكثر انتشارا بين مختلف السلالات البشرية في السودان الغربي :

	التكرور	الفولان	الولوف	السراكولي	المور

[1] اسماعيل العربي: مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى،- في- مجلة الثقافة-عدد62-مارس -أفريل-وزارة الثقافة-الجزائر،1981م،ص48.

[2] Bulletin:Op.cit.91.

القادرية	3.920	2.530	150	1.850	21.200
التجانية	67.460	15.300	12.470	2.490	2.300
طوائف أخرى	1.080	-	20	200	500

من خلال هذا الجدول يتضح لنا جليا الانتشار الواسع للطريقتين التجانية والقادرية – وان كانت التجانية أكثر انتشارا من نظيرتها القادرية،ويعود هذا إلى سهولة تعاليمها وتلاؤمها مع التطور الحياتي ،فهي ليست معقدة بل سهلة ،ومرنة تتماشى وحركة الإنسان – [1] بين مختلف السلالات البشرية مقارنة بالطرق الصوفية الأخرى التي عرفها السودان الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي .

ثانيا:<u>الحركات الإسلامية الحديثة</u>

شهد القرن الثالث عشر الهجري ، والتاسع عشر الميلادي ظهور فكرة الجهاد الإسلامي، ونشر الحركات الإصلاحية دينية واجتماعية وثقافية وسياسية كبرى شملت منطقة واسعة من غرب إفريقيا، حيث عملت على نشر الدعوة وإصلاح العقيدة الإسلامية وتنقيتها من شوائب وطقوس الوثنية، توجت في النهاية بإقامة دول وحكومات إسلامية لحكم المسلمين بموجب الشريعة والتمكين لدين الله نذكر منها[2].

1/- حركة الشيخ عثمان دان فودي (1754- 1817م):

تعد حركة الشيخ دان فودي التي انطلقت من بلاد الهوسا أحد أهم الحركات الإصلاحية التي شهدتها منطقة غرب إفريقيا، والتي غيرت المسار الديني في الكيان الإسلامي واكتشاف قيمة الإسلام بالعودة إلى أصوله الأولى.

---

[1] بن يوسف تلمساني: المرجع السابق،ص120.<u>ينظر</u>: الأمير عبد القادر والتجانية للمؤلف،- في – مجلة الرؤية-العدد الأول،جانفي- فيفري- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر،1996،ص 71.

[2] - أحمد بو عتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي، (دط)، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص ص 126-127.

. **التعريف بالشيخ دان فودي**[1]:

وهو الشيخ عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن جب الملقب بابن فودي، في 17 نوفمبر 1754م بقرية مرت الواقعة في جمهورية النيجر حاليا نشأ الشيخ في بيئة علمية توارثت العلم عبر الأجيال منذ القرن 15م، حفظ القرآن الكريم في سن مبكر على يد والده الشيخ محمد فودي، ودرس العلوم الإسلامية على يد الشيخ عبد الرحمان حمدا.

تنقل الشيخ بن فودي كغيره من طلاب العلم من بلد لآخر بهدف طلب العلم وتحصيله[2]

ومن مشايخه وعلماء عصره الذين تتلمذ على أيديهم هو الشيخ عثمان المعروف بيدو الكبويّ أخذ عنه العشرينيات ونحوها، والشيخ العلامة أبو الأمانة جبريل بن عمر هذا الشيخ الذي كان بن فودي قد صاحبه لمدة سنة، وأخذ عنه الكثير من العلوم وأجازه جميع مروياته في القرآن الكريم الصحاح الستة وغيرها[3] والشيخ أحمد بن محمد بن الأمين أخذ عنه التفسير إضافة غلى مجموعة من الشيوخ الذين كان بن فودي قد استفاد منهم واخذ عنهم.

عرف الشيخ بن فودي بحسن أخلاقه والتقوى والصلاح مع غزارة العلم والمعرفة، حيث يعد الشيخ من كبار العلماء والمفكرين الذين زخرت بهم البلاد، وحملوا على عاتقهم مهمة الإصلاح، فكانت حركته الإصلاحية مناهم الحركات التي شهدتها المنطقة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي[4]، وقد مرت بثلاثة مراحل وهي:

. **المرحلة الأولى:** امتدت من (1785– 1803م) وهذه المرحلة بدأ فيها دان فودي يدعوا الناس إلى دين الله وتصحيح عقائدهم والقضاء على الخرافات والبدع عن طريق الوعظ والإرشاد الديني وبهدف

---

[1] – عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص226.

[2] – عبد الرحمان عمر الحامي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل (دط)، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 1992م، ص127.

[3] – عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص128.

[4] – نفسه، ص ص 228–229.

نشر الدين الإسلامي وتعاليمه قصد الشيخ عدة مناطق داخل بلاد الهوسا بهدف تدريس قواعد الإسلام بأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستخدما أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في توجيه الناس نحو وجهة إسلامية صحيحة، وإن فهمه العميق ومعرفته الكبيرة لمختلف الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة في البلاد[1].

هكذا فقد كرس الشيخ جهوده واهتماماته خلال هذه المرحلة بالوعظ والإرشاد الديني بين الناس كيف يمكنهم تجنب البدع التي تخالف تعاليم الإسلام.

ولم تقتصر دعوته على الأشياء العامة فقط، بل اهتم أيضا بأمور أخرى دقيقة كالعلاقات الأسرية وغيرها.

ـ المرحلة الثانية:

وهي المرحلة التي مثلت تنصيب الشيخ دان فودي أمير للمؤمنين والذي اعتبر تغييرا كبيرا في التركيبة الاجتماعية والنفسية والسياسية للجماعة، وكان ذلك إعلانا لقيام أول دولة إسلامية في بلاد الهوسا سنة1804م.

فبعد تنصيب الشيخ من طرف الجماعة الإسلامية، اتضح له أن إقامة دولة إسلامية تقع أساسا على عاتق العلماء المجاهدين الذين عاهدوا الله أن يتحدوا على قوة الكفر والطغيان.

بدأ الشيخ بعده هجرته من منطقة (دخل إلى غد) بمراسلة أمراء الهوسا طالبا منهم الدخول تحت طاعة النظام الشرعي الجديد، وعلى الرغم من دعوة الشيخ فقد لقي اعترضا كبيرا من طرف هؤلاء الأمراء، حيث اعتبروا حركته حركة متمردة على الأنظمة السائدة في البلاد، إلا أنه انتصر عليهم، وفي الفترة ما بين 1804– 1817م تمكن الشيخ من اتخاذ " سكتو" عاصمة لدولته الجديدة.

ـ المرحلة الثالثة:

[1] – عبد الرحمان عمر الحامي: المرجع السابق، ص137.

فهي مرحلة توطيد دعائم الدولة الإسلامية الجديدة (1810-1817م).

إن ما تميزت به هذه المرحلة هو العمل على إرساء قواعد الدولة الإسلامية، وقد واجه الشيخ عدة مشاكل في مختلف الميادين إلا أنه ظل طول فترة حياته مالكيا يحكم ويفتي بين الناس.

وعموما تعد حركة الشيخ عثمان إحدى أهم الحركات الإسلامية الفريدة التي قامت في العالم الإسلامي، حيث ساهمت في خلق دولة إسلامية وفي بناء مجتمع إسلامي وفق أسس سلمية، وقد تركت هذه الحركة بصماتها الفكرية والسياسية على مجتمعات غرب إفريقيا والتي استمرت لغاية دخول الاستعمار الأوروبي في مطلع القرن العشرين هكذا فقد تركت هذه الحركة تراثا إسلاميا ثريا في مختلف الميادين[1].

2/- حركة أحمد لوبو الماسني (1775- 1844م):

ـ التعريف بالشيخ:

وهو أحمد لوبر باري بن أحمدو لوبو ولد بقرية يوغونسيرو بماسينا سنة (1189هـ/1775م)، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه على يد معلمين وعلماء من مشايخ الطريقة القادرية من أسرته، ولم يكتفي الشيخ بما حصل عليه، فقد اتجه نحو مدينة "جني" وفي مدارس هذه الحضارة أقبل الشيخ على دراسة علم التفسير والفقه وأصوله وعلوم الحديث ومختلف العلوم الأخرى على يد ثلة من كبار علماء الحاضرة.

وبعد عودته شرع أحمدو في أداء رسالته داعيا للإسلام ونشر تعاليمه، وتنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب والبدع التي علقت بها في مختلف المستويات الاجتماعية.

اقتدى الشيخ في حركته الإصلاحية بأعمال التجديد التي كان قد دعا إليها الشيخ عثمان بن فودي قبله، وبعدما حقق الشيخ نجاحا في عمله كسب مجموعة من الأنصار والأتباع فتقدم نحو جني ونظرا لمعارضة

[1]- نفسه: ص ص 143-144.

حكام ماسينا لحركته انتقل أحمدو إلى بلدة سبيرة [1]، بالقرب من مدينة جني وهناك أعلن جهاده ضد الحكام والعلماء الذين اعتبرهم أداة في أيدي أسيادهم من الحكام.

ثم أعلن الشيخ نفسه أميرا للمؤمنين، وتمكن من إحكام سيطرته ونفوذه على مدينة جني وماسينا وتمبكتو وكارتا واستطاع أيضا في سنة 1815م أن يؤسس مدينة عرفت ب "حمد الله"، لتكون هذه الأخيرة حاضرة لدولته الإسلامية الجديدة وبعدما استولي الشيخ أحمدو على هذه المناطق طلب من أتباعه العلماء الأجاود وكبار التجار توحيد الصفوف ومضاعفة الجهود من أجل وضع إدارة عادلة وحازمة بهدف وضع نظام جديد يضمن حياة أفضل، فعمل على تشكيل لجنة تتكون من عدة أعضاء لدراسة الوضع وبعد فترة وجيزة من العمل الجاد قدمت اللجنة مقترحاتها ودرسها الشيخ فوافق عليها وشكل مجلسا للشورى يتألف أعضائه من حوالي 40 عالما.

هكذا ونظرا لمقترحات أعضاء المجلس قسمت البلاد إلى خمس إمارات، يرأس كل إمارة أمير ويساعده أحد العلماء الأكفاء.

إضافة لهذا فقد أنشأ الشيخ أحمدو نظاما عسكريا وثيقا يهدف إلى حماية البلاد، وعمل أيضا على تقسيم العاصمة "حمد الله" إلى سبع أحياء يشرف على كل حي قاضي خاص وعين قاضي القضاة على رأس هؤلاء الحكام.

أما في الجانب الثقافي فقد اهتم أيضا ببناء المدارس، وأمر ببناء المساجد في مختلف القرى والمدن.

ونتيجة لمختلف إصلاحاته انتشر الإسلام وازدهرت ماسينا اقتصاديا وثقافيا وقصدها طلاب العلم والعلماء من مختلف المناطق.

وفي سنة 1844م توفي الشيخ أحمدو وخلفه ابنه أحمدو الثاني الذي استطاع أن يعيد أمن البلاد واستقرارها عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1] .

[1] – أحمد بو عتروس: المرجع السابق، ص ص 200–201.

3/- حركة الحاج عمر الفوتي التيجاني

تعد حركة الحاج عمر من أشهر الحركات الإصلاحية الجهادية التي شهدها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي. ففي سنة 1848م أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين ،واستطاع خلال عشر سنوات أن يسيطر على كل السودان الغربي من حدود مدينة تمبكتو حتى حدود السنغال الفرنسية ،واعتبر الحاج عمر أن رسالته المقدسة هي تنقية الإسلام في السودان الغربي من كل ماعلق به من شوائب،ووضع حدا للوثنية،وتطبيق الشريعة الإسلامية،حيث قام ببناء المساجد ،والمدارس القرآنية في كل أرجاء المنطقة التي امتدت إليها حركته الإصلاحية[2].

بدأ الفرنسيون يدركون مدى قوة الحاج عمر الصاعدة، وخاصة أن مسلمي فوتا السنغالية تطلعوا للإتحاد معه،ولذلك كان لابد "لفيدارب" من الاعتماد على قوة أخرى يواجه بها التكرور فلجأ إلى التحالف مع قبائل البمبارا الوثنية كخطة مبدئية، وفي نفس الوقت رحب البمبارا بهذا التحالف على أمل أن يمكنهم من استعادة نفوذهم ومركزهم السياسي[3].

---

[1] - عبد الرحمان عمر الحامي: المرجع السابق، ص153.

[2] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص69.

[3] إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص91.

وخلال هذه الفترة كان الحاج عمر يرغب في تحسين علاقاته مع الفرنسيين مقابل الحصول على السلاح ،والذخيرة،وكان على استعداد للموافقة على تسهيل تجارة الفرنسيين عبر إمبراطوريته حتى لا يهاجموه في المؤخرة إذا ما انشغل في حروبه مع كارتا[1].

و لكن الفرنسيين رفضوا ذلك خوفا من تزايد قوته العسكرية،وفي الوقت نفسه عملوا على تسليح البمبارا،ولذلك تغير موقفه من الفرنسيين وأخذ أتباعه يهاجمون المراكز الفرنسية ويهددون التجارة في منطقة "باكل"[2].،ثم أقدم الحاج عمر على خطوة خطيرة إذ أعلن عن نواياه في محاربة الفرنسيين حتى يدفعوا له الجزية.كما دعا أتباعه في سانت لويس[3]. إلى عدم التعاون والاتفاق مع الخونة الفرنسيين،وكتب إلى "فيدارب" بأنه يعارض إرسال أي سفينة حربية فرنسية[4].

وقال:« أن الحرب ضد الوثنيين يجب أن تستمر حتى يوافقوا على دفع الجزية».وكانت هذه الدعاية التي نشرها الحاج عمر على طول نهر السنغال ضد الفرنسيين من العوامل التي جعلت القائد الفرنسي يخشى قوة الحاج عمر،وأكد في مراسلاته المستمرة إلى باريس على أن الحاج عمر ينوي شن هجوم شامل على الفرنسيين أسوة بالأمير عبد القادر الجزائري،وفي شهر فيفري سنة1856م كتب إلى وزير المستعمرات والبحرية قائلا: « أن الحاج عمر ينظم ثورة عامة ضدنا»[5].

وأما حاكم خاسو سامبالا (Sambala) فقد رحب بالفرنسيين في أرضه وقبل ببناء حصن فرنسي في ميدين ،يساعد على رد هجومات الحاج عمر، وإنشاء هذا الحصن يشكل تهديدا كبيرا لطموحات

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص70.

[2] باكل: مدينة في منطقة سينغامبيا الشرقية جنوب الفوتا تورو على نهر السنغال أحتلها الفرنسيون في إطار التوسع نحو الداخل السوداني.

[3] مدينة سنغالية ساحلية صغيرة توسعت في عهد الاستعمار الفرنسي ،وكانت نقطة انطلاق الفرنسيون إلى المناطق الداخلية، بها أهم المنشآت الاستعمارية.

[4] إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص92.

[5] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص72.

الحاج عمر التوسعية فقام الحاج عمر بحصاره لمدة ثلاثة أشهر سنة 1857م ،وقد عانى سكان الحصن الجوع ،ونقص المؤونة ،حتى وصول الإمدادات الفرنسية[1].

وقد أظهر حصار الحاج عمر لحصن ميدين قوته ،ومدى رفضه لإنشاء الحصون الفرنسية في المنطقة، وفي سنة 1859م قام بمحاصرة حصن ماتام ومركز جيمو Guemou،غير أن الفرنسيين نجحوا في فك الحصار المضروب،وفشل الحاج عمر في التصدي للفرنسيين ،وخلال هذه الفترة حدث نوع من الهدوء بسب المعاهدات[2].

الموقعة بين الحاج عمر ،والفرنسيين، لذلك فضل الحاج عمر خلال هذه الفترة عدم الاحتكاك بالفرنسيين أكثر لذلك فضل الاتجاه بفتوحاته صوب النيجر لاستكمال بناء إمبراطوريته،وأصبح نهر السنغال هو الحد الفاصل بين إمبراطوريته ،والفرنسيين[3].

وعند عودة فيدارب إلى السنغال خلال ولايته الثانية 1863م ،وجد بأن إمبراطورية الحاج عمر قد اتسعت بدرجة كبيرة ،وخوفا منه على فقدان النفوذ الفرنسي في المناطق الداخلية أصدر تعليمات الى الظابط البحري أوجين ماج Mage Egenns لتوجه في بعثة إلى سيقو عاصمة عمر سنة 1863م وكان الهدف هو التعاون مع الحاج عمر في المستقبل القريب على الأقل ،طالما كانت الفرق الفرنسية مشغولة بتدعيم سيطرتها على الساحل[4].

---

[1] إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص93.

[2] – إبرام اتفاقية في شهر جويلية 1860م بين قائد باكل Bakelعن الجانب الفرنسي وتييرنو موسى عن الجانب العمري وأهم البنود التي تضمنتها الاتفاقية :

حرية التجارة بين كارتا ومدينة، مع ما يرافق ذلك من تحرك الأشخاص والقوافل والبضائع والأموال داخل أراضي كل طرف. يتوجب على أتباع الحاج عم أن يسمحوا بالمرور بكل حرية وغيره.ينظر: أحمد الأزمي: الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي،ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،2000م، ص 44

[3] إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق،ص93.

[4] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص76.

وأمام التحالف الذي تكون ضد الحاج عمر من الماسينيين أنفسهم ،ومن قادري تمبكتو،هبة ماسينا في ثورة عارمة ضد الحاج عمر في شهر ماي 1863م انتهت بحصار حمد الله[1]* التي كانت تعج بالسكان وقلة الموارد الاستهلاكية لمدة ستة أشهر، جاءت نهاية المجاهد الحاج عمر، حيث استشهد في أحد المغارات يوم الجمعة 03 رمضان 1280هـ الموافق لـ 12 فيفري 1864م[2].وهكذا استشهد المجاهد الحاج عمر عن عمر ناهز السبعين سنة،حاول خلالها بناء دولة إسلامية تطبق فيها أحكام الشريعة الغراء من جهة ومقاومة الغزاة الأوربيين من جهة أخرى، الذين

جاؤوا السيطرة على السودان الغربي واستعباد أهاليه ،ونهب موارده المتنوعة،وترك الحاج عمر مسؤولية هذا العبء الكبير لأبنائه من بعده لمواصلة المسيرة الجهادية[3].

[1] حمد الله: عاصمة مملكة ماسينا، أسسها الشيخ أحمدو سنة 1819م،تقع هذه المدينة على ضفاف نهر باني أحد فروع النيجر.ينظر:

Maurice Delafosse:Les Noirs de L'Afrique,editionPayot,Paris.1922.P83.

[2] Robert, Cornevin:Histoire de L'Afrique,tome 2,Paris.1966.P251.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص26.

الخـــاتمة

بعد عرضنا لما ورد في محتوى المقياس يمكننا الخروج ببعض الإستنتاجات يمكن ايجازها في النقاط الآتية:

- يتضح لنا من خلال عرض خارطة القارة الإفريقية عامة ومنطقة افريقيا جنوب الصحراء مدى التنوع والثراء الطبيعي الذي يمكن شعوب المنطقة من تحقيق نهضة اقتصادية كبرى عند توفر الإرادة السياسية،وما سر تدافع القوى الإستعمارية في السابق و اليوم إلا دليلا على أهمية الموقع وما يحويه من خيرات كبيرة.
- التنوع والثراء البشري في المنطقة يمكن توظيفه إيجابيا من خلال ربط الجماعات وشعوب المنطقة في ايطار يمكنهم من تحقيق الأمآل والطموحات عكس ما كانت تروج له الدوائر الإستعمارية،وبعض الأقلام والقنوات المأجورة من خلال ارسال صورالصراع الأثني و التخلف والحروب والدمار والمخدرات وكل الآفات لدى هذه المجتمعات.
- سجدل التاريخ الإفريقي بأحرف من ذهب ظهور وبروز العديد من الممالك الإسلامية التي فاقت في بعض الأحيان ممالك أوربية من حيث الأداء الحضاري،فقدت مثلت مملكة غانا أولى تجارب الديمقراطية في الوقت الذي مازالت الأمم الأوربية تنهش بعضها،كما كانت مالي وسنغاي وغيرها نماذج راقية في التطور الاقتصادي والرفاه الاجتماعي والعمراني والعلاقات المتميزة مع الأقطار الخارجية خاصة بلدان المغرب الإسلامي وحواضره التي كانت مراكز الإشعاع الفكري والثقافي مثل القرويين وفاس،وتلمسان،والزيتونة،والأزهر ،غيرها.
- لم تتخلف المنطقة عن حركية انتشار الإسلام،على غرار منطقة المغرب العربي ،فقد إختلفت وسائل وأدوات وطرق انتشاره، حيث كان لكل من :التجارة،والدعاة والأئمة،والهجرات والطرق الصوفية ،والحركات الإصلاحية الدور البارز في إنتشاره في مختلف ارجاء المنطقة،وقد ساهم أبناء السودان بأنفسهم في هذه الحركة حيث كان لهم باع كبير في انتشاره والى غاية اليوم يدين الأفارقة لهولاء وغيرههم من أبناء المغرب العربي بهذا الدور.

الملاحـــــــق

-1- خريطة تضاريس قارة افريقيا

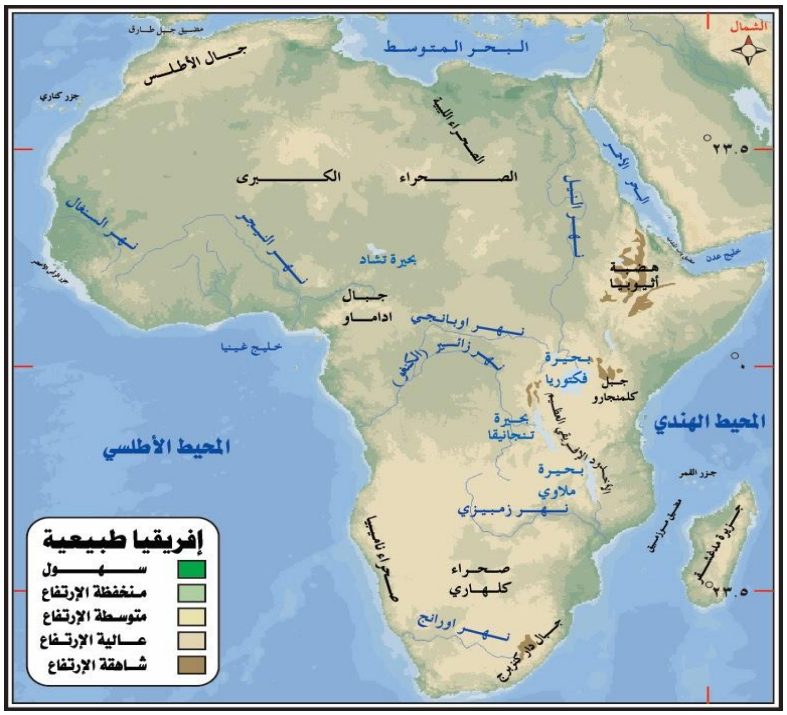

2- خريطة قارة افريقيا الطبيعية

https://www.google.com/ تاريخ التصفح:2020/08/04

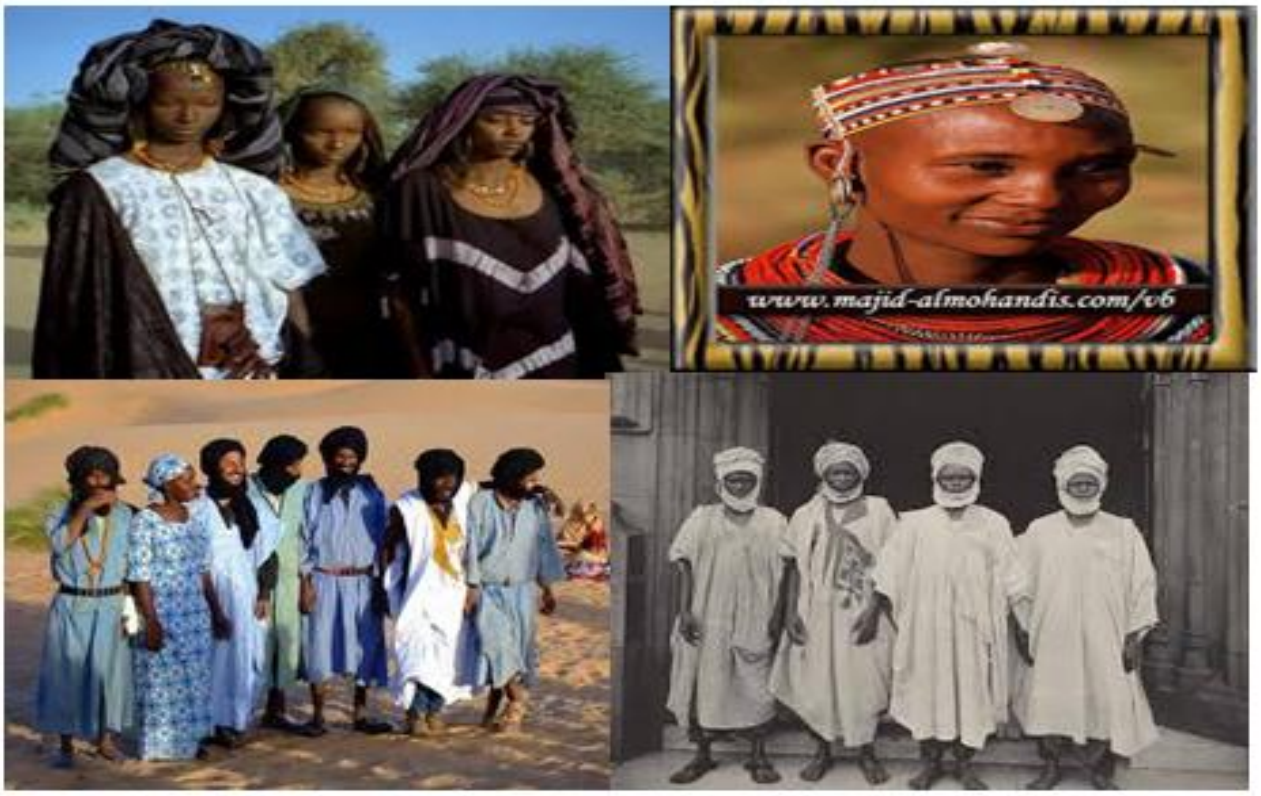

-1- صور توضح تنوع شعوب منطقة افريقيا جنوب الصحراء- انتقاء الباحث-

الرقم	الكلمة العربية	الكلمة السنغية	الكلمة الفولانية
1	الإمام	المم	اليمام
2	السبت	الشبتو	أست
3	الأحد	الهدو	الت
4	الاثنين	آتنو	التنين
5	الحرام	هرم	حرامي
6	القاضي	الكالو	قاضي
7	محمد	أمادوا دودو	ممدو
8	فاطمة	فاتمت ـ فاتو	فاتمة ـ فات
9	عائشة	ايساتو ـ ايشاتو	ايسه

-2- حضور الحرف العربي في اللغات المحلية لمنطقة افريقيا جنوب الصحراء- إنتقاء الباحث-

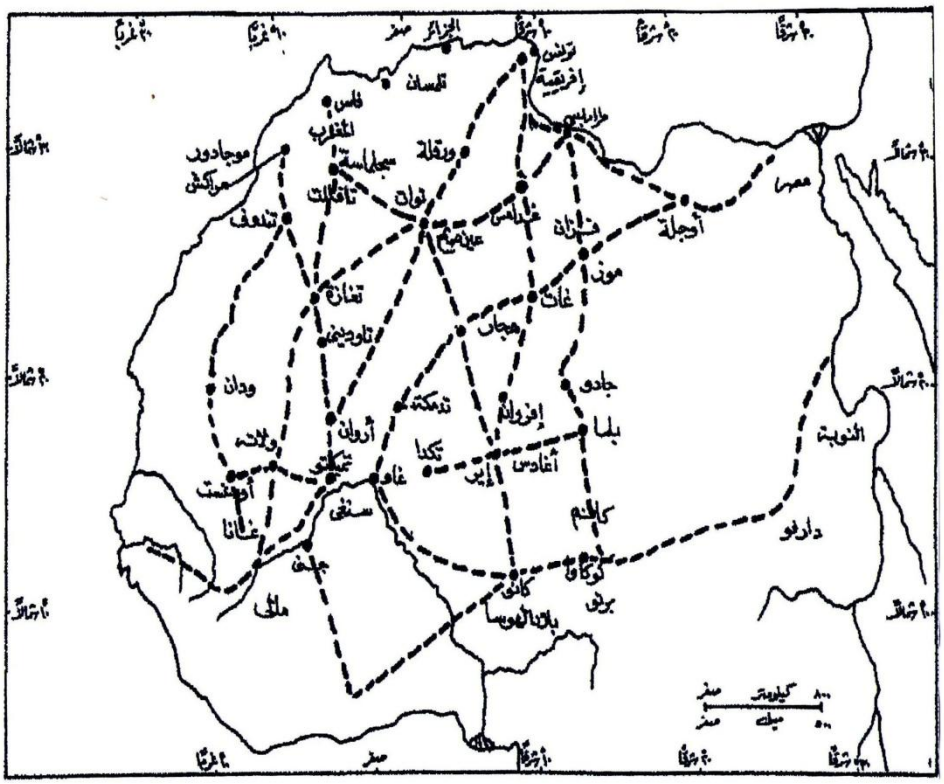

خريطة التواصل الحضاري بين البلدان العربية الشمالية والحواضر السودانية

المرجع:

ر.ج.هوبكز:المرجع السابق ،ص 167.

-1- خريطة انتشار الإسلام في منطقة افريقيا جنوب الصحراء

شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي،دار الفكر دمشق،سورية،2005،ص74

-2- خريطة بعض الممالك الإسلامية في منطقة افريقيا جنوب الصحراء

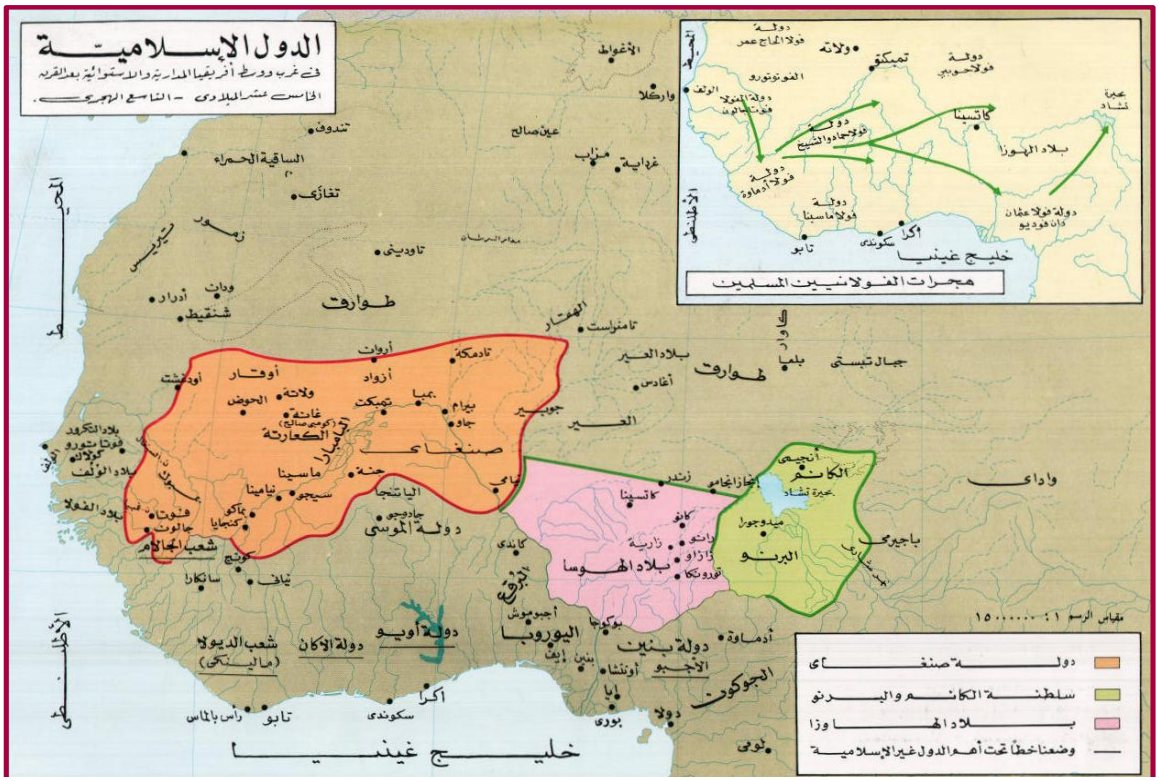

حسين مؤنس: المرجع السابق،ص367.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي):المسالك والممالك ،مطبعة بريل،ليدن،1872م ،ص99. وعبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591م) ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ب ت، .
2. أبو العباس أحمد ،القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5،القاهرة ،المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، 1963م، .
3. أبي عبيد الله البكري : المسالك والممالك ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة،ب.ت،ص ص .
4. البكري ابوعبيد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،ب.ت،.
5. الحسن الوزان: وصف إفريقيا ،ج**1**،ط2،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان،1983م.
6. عبد الرحمان بن خلدون :العبر وديوان المبتداء والخبر،ج5، بيروت ،مؤسسة جمال لطباعة والنشر،1979م.
7. القلقشندي أبو العباس أحمد:المصدر السابق ، ص282

المراجع العربية والمعربة

1. إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية برنو الإسلامية، (دط)، المكتبة العربية، القاهرة، 1395هـ/1975م.
2. إبراهيم علي طرفان: إمبراطورية غانة الإسلامية، (د ط)، الهيئة المصرية، (د ب ن)، 1970م.
3. ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج2،ط1،المطبعة الخيرية،1904م
4. أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث،ط1،دار المريخ ،الرياض،1981م.
5. أحمد الأزمي: الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي،ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،2000م.
6. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230-1430م، (ط1)، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999م،
7. أحمد بو عتروس : الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر الهجري-التاسع عشر الميلادي، (دط)، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
8. أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي،ج6،ط5،مكتبة النهضة المصرية،1990م.

9. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي (ط5)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، .
10. أحمد محمدعبد القادر: المسلمون في غينيا ، دارالفكر العربي ،القاهرة ،1968م.
11. أحمد نجم الدين فليجة : إفريقيا دراسة عامة وإقليمية ،مركز الإسكندرية للكتاب ،2005م .
12. آدم عبدالله الألوري: تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دس ن)، .
13. إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية،مؤسسة الكتاب،الجزائر،1984م.
14. إصلاح محمد البخاري حمودة: انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت – غدامس أنموذجا (7-11ه/13-17م)، (ط1)، دار الكتب الوطنية، (د م ن)، 2004م.
15. إلهام محمد على ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا،دار المريخ،1988م.
16. تقي الدين الدوري والدكتورة خولة شاكر البحيلي: تاريخ المسلمين في إفريقيا، (ط1)، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 1435ه/2014م.
17. جمال الدين الداناصوري : جغرافية العالم دراسة إقليمية(إفريقيا واستراليا)، ج2 ،مكتبة الأنجلو مصرية ،1971م.
18. جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي،مصر،1996م.
19. جورج ،هـ ، ت، كمبل: إفريقيا المدارية ،ج1 ،ترجمة مصطفى منير وآخرون ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1967م
20. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا دار الفكر العربي،مصر ،1963م.
21. حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري: السياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية (597-886ه/1200-1484م)، (ط1)، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2012م، .
22. الحسين بن محنض: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، (ط1)، دار الفكر، موريتانيا، 1431ه/2010م.
23. حمدي عبده سلامة موسى: إفريقيا قارة الإسلام، (ط1)، (ددن)، مصر 2012م.
24. دنيس بلوم: الحضارات الإفريقية،تر، علي شاهين،منشورات دار مكتبة الحياة لبنان،1974م.
25. دونالد ويدنر:تاريخ إفريقيا،ترجمة،راشد البراوي،مكتبة الوعي العربي،2001م.
26. ذلة زوليخة بن رمضان: المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين القرنين 5و10ه/ 11و16م، (د ط)، دار أبي رقراق، المملكة المغربية، 2018م، ج2.
27. رياض زاهر: كشف إفريقيا ،دار المعرفة ،1961م.
28. زكريا عبد الجواد: مالي شجن إمبراطوري،في- مجلة العربي- عدد-578- جانفي 2007م.
29. زكي عبد الرحمان : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا،مطبعة يوسف،القاهرة،ب.ت،.

30. سليجمان ،س،ج:السلالات البشرية في إفريقيا،تر، يوسف خليل،القاهرة،1959م.
31. سليجمان س. ج :السلالات البشرية في غرب إفريقيا ،ترجمة يوسف خليل ،القاهرة ،الدار المصرية للتأليف،1955م.
32. شوقي الجمل :تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ،القاهرة،1971م.
33. شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم :تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة ،1996م.
34. عبد الباقي مفتاح:أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه،د.ت،الوليد للنشر،الوادي،الجزائر.
35. عبد الرحمان ميقا:الحركة العلمية في مدينة تمكت،في مجلة دار الحديث الحسنية،العدد:14، 1997،المملكة المغربية.
36. عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
37. عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591م) ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ب ت.
38. عبد القادر سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحضارة وآفاق المستقبل، (ط1)، (د،د، ن)، (د،ب،ن)، 1406هـ.
39. عبد القادر مصطفى المحيشي: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها،ط1،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،ليبيا،2000م.
40. عبد الكامل عطية: دراسات في التاريخ والتراث، مطبعة الرمال،الوادي ،الجزائر ، 2019م.
41. عبد الله سالم محمد بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، (ط1)، دار الكتاب الوطنية، بنغازي ليبيا، 2010م.
42. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل : دراسات في تاريخ غرب إفريقيا ،مكتبة الإسكندرية ، مصر،1989م.
43. عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي، (ط1)، القاهرة، 2013م.
44. العبيدي عبد العزيز بن راشد بن عبد العزيز: وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، دراسة تاريخية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد6، فبراير، 1990م.
45. عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، (ط1)، دار الأمين، القاهرة، 1421هـ/2000م،

46. عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا،ط1،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1988م.

47. عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، (ط1)، دار الكتب الوطنية بنغازي، 1988م، .

48. عطية مخزوم الفيتوري:دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء،منشورات جامعة قار يونس،ط1، ليبيا،1998م.

49. عمار مرضي علاوي الحميلي: المؤثرات الإسلامية في مملكة برنو الإفريقية، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ،

50. فتحي محمد أبو عيانة:جغرافية إفريقيا،دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ،1987م.

51. فيج.جي.دي :تاريخ غرب إفريقيا،تر،يوسف نصر،ط1،دار المعارف،القاهرة، 1982م.

52. ك. مادهوبانيكار: الوثنية والإسلام ، تر أحمد فؤاد بليع، (ط1)،المجلس الأعلى للثقافة، (د ب ن)، (د س ن)، ج2.

53. كولين مكفيدى: أطلس التاريخ الإفريقي،ترجمة مختار السويفي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987م.

54. مارمول كربخال:إفريقيا،ج1،تر ،عماد حجي وآخرون،مكتبة المعارف،الرباط ،1983م.

55. محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: الفرقد النائر في تراجم علماء ادرار، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2016، .

56. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، (دط)، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، (د س ن)، .

57. محمد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة،ط2، دار النهضة العربية،بيروت ، لبنان،1973م.

58. محمد عبد الغني سعودي : إفريقية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة،2004م.

59. محمد عبد الفتاح إبراهيم:إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،ب.ت .

60. محمد عدنان مراد: المجتمعات الإفريقية أصولها – تاريخها وشعوبها وثقافتها، (دط)، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د ب ن)، 1995م.

61. محمد عدنان مراد:المجتمعات الإفريقية ،منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1995م.

62. محمد عوض محمد:الشعوب والسلالات الإفريقية،الدار المصرية للنشر،مصر،1965م.

63. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المسلون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة، (ط1)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 2007م.
64. محمد فاضل وسعيد إبراهيم:المسلمون في غرب إفريقيا،ط1،دار الكتب العلمية، لبنان،2007م.
65. محمد محي الدين بذق : إفريقيا وحوض النيل،ط2،مطبعة عطايا،مصر،1934م.
66. محمود شاكر: السنغال ،المكتب الإسلامي ، بيروت ،1983م.
67. محمود شاكر: تشاد، (ط1)، مؤسسة الرسالة للنشر، المملكة العربية السعودية، 1392ه/1972م، ص55.
68. المختار ولد كاكية: مجمل تاريخ موريتانيا، (ط2) ، (ددن)، (دب ن)، 2007م،.
69. مصطفى حجازي السيد حجازي: معجم سياقي للكلمات العربية في لغة الهوسا،معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى،مكة المكرمة،1986م.
70. مطير سعد غيث احمد:الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي،ط1،دار المدار الإسلامي،بيروت ،لبنان،2005.
71. مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلام في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية ، (ط1)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض، 1419ه/1998م.
72. نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: مالي، (ط2)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406ه/1986م.
73. نبيلة حسن محمد: تاريخ إفريقيا الإسلامية انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتي القرن التاسع الهجري، (دط)، دار المعرفة الجامعية، (دب ن)، 2007م.
74. نبيلة حسن محمد:في تاريخ إفريقية الإسلامية،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،2007م.
75. نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ب ت .
76. نعيم قداح:حضارة الإسلام وحضارة أوربا في غرب إفريقيا،ط2،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.1975م.
77. هـ. ديشان: الديانات في إفريقية السوداء ، تر، أحمد صادق ، القاهرة 1956م .
78. الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء،ط1،الدار المصرية اللبنانية،1999 .
79. الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، (ط1)، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 1999م.
80. الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م، (ط1)، دار الملتقى، بيروت، لبنان، 2001م.

81. وريد عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا سلطنة البولالا، (ط1)، مكتبة مدبولي، (دب ن)، 1996م.
82. وريد عبد القادر نوري: تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4-10هـ/10-16م، (دط)، جامعة الموصل، 1985م.
83. يسري الجوهري : إفريقيا الإسلامية،دار المعارف،القاهرة،1980م.
84. يوسف توني:معجم المصطلحات الجغرافية،دار الفكر العربي،ب.ت،د.ب.
85. يوسف فضل حسن:العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم،تونس ،1985م.
86. اليونسكو :تاريخ إفريقيا العام،السنغاي من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر،ج4،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1988م.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

J.C. Froelinch , Les Musulmans D'Afrique Noire , " Lumieres et Nations " Paris , Editions de l'Orante , 1962. PP268-270.

ernest Paul Marty: Études sur l'islam et les tribus du soudan ,tom 4,edition leroux,Paris,1912.PP49-50.

Maurice Delafosse:Les Noirs de L'Afrique,editionPayot,Paris.1922..

Robert, Cornevin:Histoire de L'Afrique,tome 2,Paris.1966.

Fage,J.D:Antroduction to the history of west Africa Combridge,1959,P18.

Mauric, Delafosse: les noirs de L'Afrique,Paris.1922,P17.

Lwicki,Tadeusz: Études Maghrébines et soudanaises.varsovie,Editions seientifiques.de pologne.1996..

Baba(K)et Elika(M): Histoire Général de l'Afrique,Collection Dan
france,Paris,1979,P39.

Jean-Suret-canale:Essais d'histoire africaine,editions Sociales..

H,wolff et A,Blachere: Shara et Soudan,Libraire Algerienn et Coloniale,Paris.1884..

.Deschamp,Hubert: peuples et nations d'outre mer,Parispresse
universitair.1954..

Guy,Camille :L'Afrique Occidentale française,Paris.1929,.

Gallieni, Josep :Voyage au Soudan français (Haut-Niger et pays de
Ségou,1879-1881, Hachette Paris ,1885..

. Surret, canal.j:lafrique noire géographie et civilisation,Paris,edition -

Yves, Saint martin : L´empire toucouleur et la France 1846-1893, Dakar– ,Ruvue 5
d'histoire.1967

الدراسات والأبحاث

1. اسماعيل العربي: مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى،- في- مجلة الثقافة-عدد62-مارس – أفريل-وزارة الثقافة-الجزائر،1981م.
2. زكريا عبد الجواد: مالي شجن إمبراطوري،في- مجلة العربي- عدد-578- جانفي 2007م.
3. السر سيد أحمد العراقي: انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقية عبر التاريخ،في مجلة الدراسات الإفريقية الإلكترونية ، مركز الدراسات الإفريقية ، جامعة افريقية العالمية بالسودان.
4. محمد أمين أبه الأبقاري: نشأة الممالك والدويلات الإسلامية، المؤتمر الدولي في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية، 2006م.
5. موسى جمعة سليمان الحبيب: طرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، بنغازي، العدد 10، فبراير، 2016م.

الرسائل العلمية

1. جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي بين(9م.11م)، رسالة ماجستير، في تاريخ المغرب الإسلامي،(غيرمنشورة)،جامعة الجزائر،2000م.
2. حسن علي إبراهيم الشيخي: تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتي نهاية القرن السادس عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا الآداب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2009/2008م
3. حسين جاجوا: حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،(غير منشورة)، جامعة الجزائر،1994م.
4. فرح سعد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2015-2016.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة : **ص4-5**

المحور الأول : **ص6-46**

المحور الثاني.....**ص47-70**

المحور الثالث.....**ص71-80**

المحور الرابع.....**ص81-87**

المحور الخامس.....**ص88-110**

الخاتمة..... **ص111-112**

الملاحق..... **ص113-117**

قائمة المصادر والمراجع.....**ص118-126**

فهرس الموضوعات.....**ص127-128**